الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة غرداية

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية
قسم التاريخ

دراسة في كتاب أنيس الغريب والمسافر لمسلم بن عبد القادر

مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات نيل شهادة الماستر في التاريخ
تخصص: تاريخ المغرب العربي الحديث

من إعداد الطالب: **تحت إشراف الأستاذ:**

عبد الحميد سعادة **د/إبراهيم طاس**

لجنة المناقشة

د/: محمد محدادي ..... رئيساً
د/: إبراهيم طاس ..... مشرفا و مقررا
أ/: محمد السعيد بوبكر..... مناقشا

الموسم الجامعي: 1442-1443هـ/2021-2022م

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة غرداية

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية
قسم التاريخ

دراسة في كتاب أنيس الغريب والمسافر لمسلم بن عبد القادر

مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات نيل شهادة الماستر في التاريخ
تخصص: تاريخ المغرب العربي الحديث

من إعداد الطالب:
عبد الحميد سعادة

تحت إشراف الأستاذ:
د/إبراهيم طاس

الموسم الجامعي: 1442-1443هـ/2021-2022م

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

إلى الوالدين الكريمين حفظهما الله ومتعهما بالصحة والعافية.

إلى إخوتي الأفاضل.

إلى الأصدقاء والأحباب والزملاء الكرام.

إلى كل من علمني حرف في مشواري التعليمي.

إلى الذين ضحوا بالنفس والنفيس من أجل الوطن.

إلى كل هؤلاء أهدي ثمرة جهدي المتواضع.

شكر

قال عزّ من قائل: "وَاشْكُرُواْ لِلهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ" [سورة البقرة، الآية 172]

أحمد الله عزّ وجل وأشكره على أن يسر لي إتمام هذا العمل العلمي المتواضع.

وأتوجه بالشكر الجزيل إلى الأستاذ المشرف الدكتور إبراهيم طاس على نصائحه القيمة وتوجيهاته السديدة التي دفعت بي لاستكمال المذكرة متمنيا من الله عز وجل له التوفيق في حياته.

كما أوجه تشكراتي إلى أساتذة قسم التاريخ بجامعة غرداية وأعضاء لجنة المناقشة كل باسمه وقدره.

وآخرًا أتوجه بالشكر الجزيل إلى كل من مدّ لي يد العون لإنجاز هذه المذكرة سواءً من قريب أو من بعيد.

والحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده.

قائمة المختصرات

-باللغة العربية:

ص: صفحة

ط: طبعة

ج: جزء

ع: عدد

مج: مجلد

تح: تحقيق

تع: تعليق

تق: تقديم

-باللغة الأجنبية:

N°: NUMERO

P: PAGE

R.A: Revue AAfricaine

C.R.A.S.C: Centre de Recherche en Anthropologie Sociale et Culturelle

المقدّمة

يعد التاريخ من العلوم والفنون التي درج العلماء والأدباء الجزائريون خلال العهد العثماني على الكتابة فيه والخوض في ثناياه، إذ شكل التدوين التاريخي لديهم حجر الزاوية لنقل أحداث عصرهم وأخبار حكامهم ومجتمعاتهم، فتأثروا ببيئة عصرهم وما طرأ عليها من تغيرات وأحداث سياسية واجتماعية واقتصادية ظهرت جليا في كتاباتهم وكانت الحافز لهم على التأليف والتأريخ خاصة في بعض الأحداث الهامة كفتح وهران الثاني سنة 1792.

وبذلك فإن هذه الكتابات التاريخية التي تصنف ضمن المصادر المحلية هي مصادر تاريخية هامة تعبر عن تصورات كتّابها وروح عصرهم، بحيث لا يمكن الاستغناء عنها في التطرق لتاريخ الجزائر خلال العهد العثماني، وخاصة وأنها كتبت بنظرة مغايرة عن الكتابات التاريخية الأجنبية وخاصة الفرنسية التي دوّنت تاريخ الجزائر العثمانية وفق وجهة نظر استعمارية.

ومن هذه الكتابات التاريخية المحلية يعد مؤلَف مسلم بن عبد القادر المعنون ب: **"خاتمة أنيس الغريب والمسافر"** من المؤلَفات التي عنيت بتدوين وتأريخ أخبار وأحداث بايليك الغرب وباياتها بدءاً بالباي محمد الكبير صاحب فتح وهران وانتهاءْ بالباي حسن، إذ يعتبر مصدر تاريخي هام لا غنى عنه للباحثين والمؤرخين في الرجوع إليه لتناول تاريخ بايليك الغرب الجزائري أواخر العهد العثماني وخاصة أحداث تمرد "درقاوة" التي تعرض لها المؤلف بشيء من التفصيل.

وفي هذا الإطار تندرج دراستي الموسومة بـ: **"دراسة في كتاب أنيس الغريب والمسافر لمسلم بن عبد القادر"** بغية إبراز واستعراض ما في مضامين الكتاب من معلومات وحقائق تاريخية وتناولها بالدراسة شكلا ومضمونا.

-ونهدف من دراسة هذا الموضوع إلى:

1-تبيان أهمية وقيمة الكتاب التاريخية.

2-التعرف على أسلوب ومنهج مسلم بن عبد القادر في كتاب أنيس الغريب والمسافر.

3-عرض الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية لبايلك الغرب كما أوردها المؤلف في كتابه ومقارنتها بالمؤلفات التاريخية المعاصرة له.

-إشكالية البحث:

تتمثل إشكالية البحث الرئيسية في إبراز ما تميّز به كتاب أنيس الغريب والمسافر، ومن ثم محاولة الإجابة عن جملة من التساؤلات من خلال فصول البحث ومباحثه وهي كالتالي:

-ماهي الأوضاع السائدة في بايلك الغرب الجزائري أواخر العهد العثماني؟ وهل تتوافق مع ما أورده مسلم بن عبد القادر في كتابه؟

-بماذا عُرف مسلم بن عبد القادر؟ وهل حظيت شخصيته بالترجمة الوافية؟

-ما هي مضامين كتاب أنيس الغريب والمسافر؟ وهل هي تاريخية خالصة؟ أم أنها جمعت بين التاريخ والأدب والسياسة؟

-ما هي ملامح الواقع السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي لبايلك الغرب الجزائري من خلال كتابه؟ وهل كان موضوعيا في طرحه؟

-ما هي الأسباب التي حملت مسلم بن عبد القادر على تأليف الكتاب؟ وهل تحظى كتاباته بالصدق والقبول من طرف المؤرخين الذين جاؤوا من بعده؟

-الخطة المتبعة في البحث:

وللإجابة على الإشكالية المطروحة جاءت خطة البحث كالتالي:

-الفصل التمهيدي: وجاء تحت عنوان "الأوضاع العامة لبايلك الغرب الجزائري في أواخر العهد العثماني"، وضم هذا الفصل أربع مباحث هي:

-المبحث الأول: تطرقت فيه للأوضاع السياسية ابتداء بحكم الباي محمد الكبير الذي مثّل عهده أوج ازدهار بايلك الغرب وما صحبه من إنجازات هامة كفتح وهران الثاني سنة 1792م، ثم عرجت على الحالة السياسية بعد حكم الباي محمد الكبير والتي عرفت عدم الاستقرار السياسي وشيوع الثورات والتمردات على السلطة الحاكمة كالثورة الدرقاوية والتجانية.

-المبحث الثاني: تناولت فيه الأوضاع الاقتصادية لإقليم بايلك الغرب من فلاحة وصناعة وتجارة.

-المبحث الثالث: أوردت فيه الأوضاع الاجتماعية للبايلك وتركيبته السكانية، حيث تنقسم إلى سكان المدن وسكان الأرياف، وكذا تقسيمات القبائل من مخزن ورعية وممتنعة عن السلطة.

-المبحث الرابع: وذكرت فيه الأوضاع الثقافية للمقاطعة الوهرانية وما عرفته من تعليم في أطواره الثلاث يشمل ما يشبه الأطوار التعليمية المتعارف عليه اليوم، وكذا المؤسسات الثقافية المنتشرة بالبايلك، حيث انتعشت الحركة الثقافية في عهد الباي محمد الكبير وتراجعت بعده.

-الفصل الأول: عنونته ب: "التعريف بالمؤلِف مسلم بن عبد القادر والكتاب أنيس الغريب والمسافر"، وأدرجت فيه أربع مباحث هي:

-المبحث الأول: درست فيه شخصية مسلم بن عبد القادر من حيث: اسمه ونسبه، والوظائف التي تقلدها، وعصره بما عرف به، وانتاجه العلمي الذي اشتهر به.

-المبحث الثاني: استعرضت فيه التعريف بكتاب أنيس الغريب والمسافر من حيث: عنوانه الأصلي، والكتاب كمخطوط، وعن زمن وظروف تأليفه، والنسخة المطبوعة والمحققة من الكتاب.

-المبحث الثالث: تناولت فيه مضمون ومحتوى الكتاب.

-المبحث الرابع: خصصته للحديث عن أهمية وقيمة الكتاب التاريخية من حيث: المعلومات التي ذكرها، والمصداقية التي حظي بها، والصورة التي قدمها عن الأوضاع العامة لبايليك الغرب.

-الفصل الثاني: بعنوان "القيمة التاريخية لكتاب أنيس الغريب والمسافر"، واحتوى على المباحث التالية:

-المبحث الأول: أبرزت فيه صورة الواقع السياسي والعسكري من خلال: نظرة المؤلف لسيرة وخصال وسياسة البايات، وكذا الثورة الدرقاوية التي فصل الحديث عنها بدءًا بأسباب قيامها والحروب والمعارك التي جرت بين المتمردين وقوات البايلك، بالإضافة إلى جانب العلاقة التي ربطت البايليك بمركز الحكم.

-المبحث الثاني: تناولت فيه صورة الواقع الاجتماعي من خلال: ما ذكره المؤلف عن الأوبئة والمجاعات، ووفاة العلماء بسبب الطاعون أو الحروب، وكذا المدن والمناطق والقبائل التي أوردها في كتابه.

-المبحث الثالث: ركزت فيه على صورة الواقع الاقتصادي من حيث: أضرار الدرقاويين الاقتصادية بالبايلك، والإشارات التي أوردها المؤلف بشأن غلاء الأسعار وصرف العملة.

-المبحث الرابع: عالجت فيه صورة الواقع الثقافي من حيث علاقة العلماء بالسلطة الحاكمة ولمحة عن الإنتاج الثقافي.

-الفصل الثالث: "دراسة تحليلية للكتاب: الشكل والمضمون" وقد قسمته إلى ثلاثة مباحث هي:

-المبحث الأول: تحت عنوان دراسة تحليلية للشكل: وتطرقت فيه للمنهج والأسلوب الذي سلكه مسلم بن عبد القادر في الكتاب، والمصادر التي استند إليها المؤلف في استقاء مادته التاريخية.

-المبحث الثاني: احتوى على دراسة تحليلية للمضمون: اشتمل على دوافع تأليف المؤلف للكتاب، والمنطلقات الفكرية للمؤلف، إضافة إلى مدى صدق الأحداث التاريخية الواردة في الكتاب.

-المبحث الثالث: وخصصناه لمقارنة كتاب أنيس الغريب والمسافر مع الكتابات التاريخية المعاصرة له، حيث ضم العنصر الأول مقارنته مع الكتابات الجزائرية: كدرّ الأعيان لحسين خوجة، والزياني في دليل الحيران، بالإضافة إلى محمد الشريف الزهار في مذكراته وحمدان خوجة في مرآته. أما العنصر الثاني فتم مقارنته مع الكتابات المغربية: ككتاب الترجمان المعرب عن دول المشرق والمغرب للمؤرخ المغربي أبو القاسم الزياني، ومؤلف أبو حامد العربي المشرفي المعنوّن بالحسام المشرفي والمعروف بنزعته وتوجهه الطرقي الدرقاوي، وأخيرا كتاب الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى في جزئه الثامن للناصري.

-المنهج المعتمد في الدراسة:

لقد التزمت في بحثي على اعتماد المنهج التاريخي، باعتبار أن هذا المنهج اقتضته الدراسة من أجل الإلمام بالموضوع، ومحاولا وصف وتحليل ومقارنة الأحداث والحقائق التاريخية واستقرائها للخروج منها بنتائج وفوائد تصبو في صالح الدراسة.

-أسباب اختيار الموضوع:

يرجع اختيار الموضوع لأسباب ذاتية وموضوعية، فالأولى تتمثل في شغفي بالاطلاع على المصادر المحلية لتاريخ الجزائر خلال العهد العثماني، وأما الثانية (الموضوعية) فتتمثل في قضية الكتابات التاريخية الجزائرية التي ظهرت خلال العهد العثماني ومدى وعيها وتعبيرها عن الحقائق التاريخية.

-الدراسات السابقة:

من الدراسات التي استندت إليها وأثرت الموضوع بشكل كلي أو جزئي نذكر: مؤلف رقية شارف المعنوّن ب"الكتابات التاريخية الجزائرية الحديثة خلال القرن 18 وبداية القرن 19م دراسة تحليلية نقدية"، وكذا رسالتها لنيل شهادة دكتوراه "التاريخ والمؤرخون الجزائريون خلال العهد العثماني وإلى غاية 1267هـ/1850م دراسة وصفية-تحليلية-نقدية-مقارنة مقاربة في المنهج التاريخي"، ودراسة الباحث فارس كعوان "المؤرخون الجزائريون ونمو الوعي التاريخي 1830-1962 مساهمة في التاريخ الثقافي والفكري"، ودراسة الباحث عبد القادر بكاري: "منهج الكتابة التاريخية عند المؤرخين الجزائريين في العهد العثماني (1519-18330م)"، ودراسة الباحث توفيق دحماني "النظام الضريبي ببايلك الغرب الجزائري أواخر العهد العثماني (1193هـ/1779م-1246هـ/1830م).

-الصعوبات التي اعترضت البحث وكيفية التغلب عليها:

لا تخلو أي دراسة من صعوبات وعوائق تعترض الباحث الجاد في إنجاز بحثه لكنها لا تقف حائلا من مواصلة إنجاز دراسته، ومن هذه الصعوبات نذكر:

-صعوبة الوصول إلى النسخة المخطوطة من تأليف أنيس الغريب والمسافر.

-تعسر العثور على نسخة مطبوعة من الكتاب والاعتماد على الكتاب الإلكتروني.

واستعنت في التغلب على هذه العوائق على ما أورده رابح بونار في تحقيق كتاب أنيس الغريب والمسافر من معلومات تتعلق بالنسخ الأصلية للتأليف، وبالنسبة للنسخة المطبوعة من الكتاب فقد تفضل علينا الدكتور محمد محدادي بإعارته لنا النسخة المتوفرة عنده من الكتاب فله منا كل الشكر والتقدير.

-دراسة نقدية للمصادر والمراجع:

من **المصادر العربية** التي استعنت بها في هذه الدراسة هي:

1-كتاب أنيس الغريب والمسافر لمسلم بن عبد القادر: وهو الكتاب المعني بالدراسة، واستعنت به في مختلف فصول البحث، وقد حققه الأستاذ رابح بونار.

2-كتاب الثغر الجماني في الثغر الوهراني: والذي حققه المهدي البوعبدلي، وقد عني بتأريخ إنجازات الباي محمد الكبير خاصة أحداث فتح وهران الثاني، إذ أفادني هذا الكتاب في المبحث الأول من الفصل التمهيدي.

3-كتاب المرآة لحمدان بن عثمان خوجة: واستعنت بهذا الكتاب في كل ما يتصل بتناوله لبايلك الغرب، ومقارنته بكتاب أنيس الغريب والمسافر.

4-كتاب عجائب الأسفار ولطائف الأخبار لأبو راس الناصر: وحققه محمد غالم، وهو كتاب في تاريخ وهران وبايليك الغرب، إذ استعنت في في المبحث الأول من الفصل التمهيدي فيما يتصل بتأريخه لأحداث فتح وهران الثاني.

5-كتاب مذكرات أحمد الشريف الزهار: وهو كتاب تاريخي هام غني بالأخبار والأحداث التاريخية التي عرفتها الجزائر خلال العهد العثماني، إذ استعنت به في ذكره لبعض حوادث بايليك الغرب كفتح وهران وأخبار بعض باياتها.

6-كتاب دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران لمحمد بن يوسف الزياني: والذي حققه المهدي البوعبدلي، ويعد مصدر هام في تاريخ بايليك الغرب الجزائري، إذ أفادني هذا الكتاب في عدة مواضع من الدراسة نظير احتوائه على أخبار وأحداث لم يفصل فيها مسلم بن عبد القادر في كتابه.

بالإضافة إلى **كتاب طلوع سعد السعود للآغا بن عودة المزاري** و **كتاب تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر لمحمد باشا بن الأمير عبد القادر الجزائري**، وهي مصادر اهتمت بتدوين وتأريخ أخبار و وقائع الناحية الغربية من إيالة الجزائر.

ومن **المراجع** التي اعتمدت في هذا الموضوع هي:

7-كتاب الباي محمد الكبير ومشروعه الحضاري لبلبروات بن عتو: وهو دراسة تاريخية لسيرة وإنجازات الباي محمد الكبير، واستعنت بهذا الكتاب في المبحث الأول من الفصل التمهيدي أثناء التطرق لاستعدادات الباي محمد الكبير لفتح وهران.

8-مؤلفات المؤرخ يحي بوعزيز مثل: مدينة وهران عبر التاريخ وكتاب موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب في جزئه الأول.

9-مؤلفات المؤرخ ناصر الدين سعيدوني مثل: كتاب النظام المالي للجزائر في أواخر العهد العثماني (1792-1830) وكتابه المشترك مع المهدي البوعبدلي الجزائر في التاريخ العهد العثماني، وكتاب من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي تراجم مؤرخين ورحالة جغرافيين.

10-مؤلفات المؤرخ أبو القاسم سعد الله مثل: تاريخ الجزائر الثقافي في جزئه الأول والثاني والسابع.

11-بالإضافة إلى العديد من المقالات المنشورة باللغة العربية وأذكر البعض منها: مقال الأستاذ صادق بن قادة بعنوان: **الذاكرة المكتوبة والتاريخ: أضواء جديدة حول شخصية مسلم بن عبد القادر الوهراني أديب ومؤرخ بايات وهران (القرن 13هـ/19م)**، ومقال الأستاذ محمد دادة بعنوان: **التدوين التاريخي في الجزائر خلال العصر العثماني خصائصه وموضوعاته**، ومقال الأستاذ محمد بن جبور المعنون ب: **الحركة العلمية بالجزائر ومشاهير علماء بايلك الغرب في أواخر العهد العثماني (1671-1830)**.

وآخرا لا يسعني إلاّ القول أن كل جهد بشري وخاصة في البحث العلمي يعتريه النقص والخلل أو التقصير في بعض جوانبه والكمال لله، وحسبي أني نشدت الالتزام بالموضوعية و الابتعاد عن الأحكام المسبقة والعاطفية تجاه موضوع الدراسة، وهذا جهدي المتواضع في البحث أرجو أن أكون فيه عند حسن ظن اللجنة العلمية المناقشة لهذه المذكرة، كما أشكر الأساتذة الكرام كل باسمه وقدره على قبول مناقشة الموضوع.

-الفصل التمهيدي:

الأوضاع العامة لبايليك الغرب الجزائري في أواخر العهد العثماني

-المبحث الأول: الأوضاع السياسية

-المبحث الثاني: الأوضاع الاقتصادية

-المبحث الثالث: الأوضاع الاجتماعية

-المبحث الرابع: الأوضاع الثقافية

-المبحث الأول: الأوضاع السياسية:

تميزت الأوضاع السياسية في بايليك الغرب أثناء حكم الباي محمد الكبير بالاستقرار ومثل عهده ذروة لازدهار وتقدم بايليك الغرب في العهد العثماني[1]. إذ تركزت جهوده ومراميه في السعي إلى فتح مدينة وهران وتخليصها من الاحتلال الإسباني، فكان أن شدد عليها الحصار ومنع عنها الامدادات وصير لها جنوده يكيدون للإسبان المكائد، وفي ذلك يقول ابن سحنون الراشدي: " ...فتارة يوجه لهم المهرة بالسباحة في البحر فيبيتون من قدروا عليه منهم في بيوتهم ويأتونه برؤوسهم، وتارة يرصد لهم الكمين قرب أسوارهم حتى يظفروا بهم، وتارة تحمل عليهم طلائع جنوده فيتخطفونهم تخطف الصقور للبغاث...".[2]

وفي يومي 8 و9 أكتوبر 1790 ضرب بمدينة وهران زلزال أودى بمعظم مدنها الخراب وحل بتحصيناتها وأسوارها تشققات، وكان من جملة ضحايا هذا الزلزال ثلاثة آلاف ضحية من سكانها وجندها، ومن ضمنهم حاكمها الاسباني بالنيابة دون نيكولا غارسيا.[3]

وكان لهذه الحادثة أضرار وخيمة على الاسبان المتواجدين بثغر وهران فاستغل الباي محمد الكبير هذه الفرصة وقام بتصعيد نشاطه العسكري حول المدينة[4]، فشدد عليها الخناق وأوفد إليها الطلبة لمحاصرتها وقام بإنزالهم برباط إيفري وجبل المائدة مدعمين بعدتهم وعتادهم.[5]

كما كان من استعدادات الباي محمد الكبير لفتح وهران أن قام بإرسال مستشاريه وكتابه إلى إنجلترا وجبل طارق والمغرب لشراء الأسلحة والبارود وكذا تدعيم جبهته بأرباب الصنائع من النجارين والخراطين

[1] فتيحة الواليش: الحياة الحضرية في بايلك الغرب الجزائري خلال القرن الثامن عشر، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 1993-1994، ص 28.

[2] أحمد بن سحنون الراشدي: الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، تح وتق: المهدي البوعبدلي، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013، ط 1، ص 204.

[3] أحمد توفيق المدني: حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا 1492-1792، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ط 3، ص 524.

[4] بلبروات بن عتو: الباي محمد الكبير ومشروعه الحضاري، دار كوكب العلوم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2020، ص 201.

[5] نفسه، ص 221.

والحدادين وصناع البارود من كل بلد أمكنه أن يجمع منها كالجزائر وتلمسان ومستغانم، بالإضافة إلى إصلاح أسرة المدافع والطرقات حتى يسهل جر المدافع إليها بسهولة.[1]

وعندما أيقن الاسبان من حرص الباي محمد الكبير وجديته في محاربتهم وطردهم من وهران بادر الملك الاسباني كارلوس الرابع إلى إرسال مبعوثه إلى الداي محمد بن عثمان باشا لعقد هدنة لمدة شهر، وفي ذلك يقول ابن سحنون الراشدي: " أن الاسبان لجؤوا إلى الداي محمد بن عثمان باشا وطلبوا منه على وجه المذلة أن يأمر الباي محمد الكبير أن يهادنهم شهرا لا يناشبهم فيه القتال ويكف عنهم فيه الطلبة المتصدين لإفساد حالهم وإدامة قتالهم، فأجابهم إلى ذلك"[2]. فامتدت هذه الهدنة من 22 رجب إلى 22 شعبان 1205هـ الموافق ل 25 مارس إلى 25 أفريل 1791م.[3]

غير أن الإسبان لم يلتزموا باحترام مدة الهدنة فقاموا بخرق الاتفاق المبرم مع حكام الجزائر، حيث قبل انتهائها شرعوا في مهاجمة القوات المرابطة خارج المدينة بعدما تلقوا الدعم والمساندة من ملكهم[4]، ولما علم الباي محمد الكبير بأمرهم سارع إليهم وقام بتهيئة جنوده للقتال مع تلقيه لدعم من الجزائر تتمثل في حامية عسكرية وكذا جلب المدافع وتصويبها باتجاه المدينة. وفي ذلك يقول صاحب تحفة الزائر: "وقبل انتهاء الهدنة المتفق عليها لمدة شهر بين حكام الجزائر واسبانيا، غدر الإسبان بالمسلمين ورفعوا رايات الحرب، فطار الخبر إلى محمد باي فسار وأناخ على وهران، وجاءه المدد من الجزائر فأعظم النكاية في الإسبانيول وأحجرهم في منازلهم وزحف إلى السور ووضع المدافع والهواوين في الاستحكامات وعكف الرماة يرسلون عليها القنابل حتى اندكت أكثر أبراجها ودورها، واشتد الأمر على أهلها وعجوا عن الذب عنها".[5]

وفي خضم هذه الأحداث ولما ضاقت بالإسبان السبل وكثر فيهم القتل وعظم عليهم الخطر رأوا بأن يوفدوا رسولا إلى الداي حسن باشا خليفة محمد بن عثمان باشا لتوقيع هدنة لمدة خمسة عشر يوم

[1] ابن سحنون الراشدي: الثغر الجماني، مصدر سابق، ص 255-256.

[2] نفسه: ص 273.

[3] بلبروات بن عتو: الباي محمد الكبير ومشروعه الحضاري، مرجع سابق، ص 228.

[4] نفسه: ص 231.

[5] محمد باشا بن الأمير عبد القادر الجزائري: تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر، تح: محمد السيد عثمان، ج 1، دار الكتب العلمية، لبنان، 2013، ط 1، 110.

تتضمن وقف القتال مع دفع الاسبان تعويضات لخسائر الباي في حروبه ضدهم[1]، وهذا ما أشار إليه أبو راس بقوله: " أن الكفرة أذلهم الله لما علموا من المنصور بالله ما هو عليه من كثرة جنوده وشدة حزبه فأصبحوا فرائس له يتوقعون وثبته عليهم، جعلوا للتوسل بالصلح وسائط وألزموا أنفسهم عدة أمور وشرائط... وألحوا على حسن دولاتي في المراسلة حتى رأى بمقتضى سديد رأيه أن يعقدوا بيننا وبينهم الصلح في الحال على أخذ البلد وإعطاء المال".[2]

غير أن الباي محمد الكبير أثناء الهدنة أكثر على الاسبان من التهديد والوعيد إذا لم يسلّموا المدينة ويغادروها دون رجعة، فتحير الاسبان من مصيرهم وخافوا على أنفسهم ومن ثم "تحققوا أنهم ذاهبون عنها صاروا يخربون الدور المعتمدة القواعد المعتدلة القوام ويرهبون الحصون العظام فيهدمون ما شاءوا من ذلك بالألغام"[3]. وعند انقضاء مدة الهدنة بعث الملك الاسباني رسله إلى داي الجزائر وأخبروه بأن: "الملك الاسباني سلم في البلاد وتنازل عن دفع نفقات الحرب التي أمر بها وكيله"[4]. وعندئذ اتجه الطرفان لإبرام معاهدة صلح يوم 9 ديسمبر 1791م[5]، وشرعت إسبانيا في إخلاء المدينة ومغادرتها حسبما ورد في البند الأول من الاتفاق وهي أن تنسحب اسبانيا من وهران والمرسى الكبير دون قيد أو شرط.

وفي يوم 22 فيفري 1792م دخل الباي محمد الكبير مدينة وهران دخول الفاتح المنتصر واستبشر الناس بفتحها في كافة مناطق الإيالة، وشرع الباي في تعميرها وإقطاع الناس الأراضي لبناء الدور والمنازل، كما عمد إلى إزالة المعالم الاسبانية وأعاد للمدينة طابعها العربي الإسلامي وكذا تحويلها عاصمة للبايليك.[6]

كما أن السلطان العثماني هو الآخر ابتهج واستبشر بفتح وهران، إذ يذكر أحمد الشريف الزهار في مذكراته أن: "حسن باشا بعث بشارة فتح وهران ومفاتيحها إلى السلطان سليم، ولما وصل الرسل

---

[1] بلبروات بن عتو: الباي محمد الكبير ومشروعه الحضاري، مرجع سابق، ص 242.

[2] أبو راس الناصر: عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، تق وتح: محمد غالم، ج 2، منشورات CRASCO، الجزائر، ص 115.

[3] أبو راس الناصر: نفسه، ص 117.

[4] ابن سحنون الراشدي: الثغر الجماني، مصدر سابق، ص 319.

[5] عن مواد الصلح أنظر: أحمد توفيق المدني: مرجع سابق، ص 526. –بلبروات بن عتو: نفسه، ص 247-255

[6] يحي بوعزيز: مدينة وهران عبر التاريخ، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ط خاصة، ص 64. –يحي بوعزيز: موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب، ج 1، دار الهدى، الجزائر، 2009، ص 101.

إلى استمبول بلغوا الرسائل والبشارة للسلطان ففرح بذلك واستبشر المسلمون بهذا الفتح العظيم والنصر المبين".[1]

وإذا كان بايليك الغرب قد شهد استقرارا سياسيا في عهد الباي محمد الكبير فإن هذه الحالة لم تستمر في عقبه، إذ عرفت المنطقة خلال القرن التاسع عشر تدهورا سياسيا أثر على مختلف مناحي الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، ومرد ذلك إلى شيوع ثورات الطرق الصوفية ومنها ثورة الطريقة الدرقاوية التي أحدثت خرابا في البايليك واضطرابا كبيرا في نظام الحكم والبلاد[2]. ويعود تمرد هذه الطريقة حسب المصادر المحلية إلى أن شيخ الطريقة بالجزائر ابن الشريف "كانت عامة درقاوة تجتمع إليه ويخرج بهم إلى الصحراء، وصارت كلها شيعته تهدي إليه الهدايا وتعطي إليه العطايا، ويشكون إليه أضرار المخزن، وما هم فيه من أداء المغارم، فكان يعدهم بالفرح القريب، ويجمع ذلك الشيء، ويذهب إل شيخه المذكور، ويقص عليه ما هم فيه خدامه من إهانة المخزن إليهم، فيقول له: انصرهم والله ينصرك".[3]

ومع تجاوب شيخ الطريقة بالمغرب مع مريده شرع هذا الأخير بإعلان التمرد سنة 1805م وأخذ يصارع القبائل المخزنية والقوات التركية فلقيت دعوته تجاوبا من قبل السكان. وغطت ثورة درقاوة مناطق واسعة بحيث هددت الوجود العثماني فيها بقوة، فحشد لها العثمانيون قواتهم ودارت بينهم معارك كثيرة كالتي وقعت بين الباي مصطفى العجمي وطلبة ابن الشريف بفرطاسة قرب معسكر وكان النصر فيها حليف الدرقاويين.[4] وبذلك "أمسى الباي ومخزنه في نكد وأصبح الدرقاوي وأتباعه في رغد" على حد قول مسلم بن عبد القادر.[5]

وعند تولية الباي محمد المقلش على بايليك الغرب سنة 1805م عمد إلى استعمال الدبلوماسية والدهاء السياسي لاتقاء شر الدولة العلوية، وممارسة القمع ضد الثوار، وبذلك رجحت كفة النصر لصالح الأتراك وانتصر جيشهم في كثير من المعارك.[6] ومع ذلك فإن الثورة لم يخمد فتيلها ولم يقضى

---

[1] أحمد الشريف الزهار: مذكرات نقيب أشراف الجزائر، تح: أحمد توفيق المدني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980، ط 2، ص 63.

[2] يحي بوعزيز: موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب، نفسه، ص 239.

[3] مسلم بن عبد القادر: أنيس الغريب والمسافر، تح وتق: رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974، ص 72.

[4] أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، دار الغرب الاسلامي، لبنان، 1998، ط 1، ص 221.

[5] مسلم بن عبد القادر: نفسه، ص 73.

[6] حنيفي هلايلي: أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، دار الهدى، الجزائر، 2008، ط 1، ص 34-35.

عليها إلا في عهد الباي حسن بن موسى الباهي، حيث جرت هذه الثورة البلاد لأكثر من اثنتي عشرة سنة (من 1805 إلى 1817م) إلى وابل من المعاناة، وكانت سببا في توسيع فجوة الخلاف بين الحكام والرعية، وزيادة حدة التوتر مع أصحاب الطرق الصوفية.[1]

ورغم أن ثورة الطريقة الدرقاوية تم القضاء عليها في عهد الباي حسن إلا أن الثورات الشعبية سرعان ما تجددت في بايليك الغرب وذلك عبر الطريقة التجانية وبقيادة ابن مؤسس الطريقة محمد الكبير التجاني، حيث عانى هذا الأخير من مضايقات السلطة العثمانية وسعى الباي حسن للتخلص منه وقام بمحاصرة مقر الزاوية بعين ماضي مخافة أن يثور عليهم ويحشد ضدهم القبائل، وبالتالي لجأ العثمانيون إلى شن حملات على هذه البلدة وترصد تحركات ابني التجاني ومضايقتهما.[2]

مما حذا بمحمد الكبير التجاني إلى إعلان الثورة على الأتراك والسير بقواته إلى ناحية معسكر، وفي ذلك يقول الزياني: "وجاء معه بستمائة رجل من التجانية أهل عين ماضي وعدد من العرب مع قوات الحشم إلى أن وصل لمعسكر".[3] وعندما حل بها التجانيون لجأ الباي حسن إلى رشوة قواد قبيلة الحشم لينفرهم من مساندة التجانية والتخلص منهم، وفي هذا الصدد يذكر كل من الزياني والأغا بن عودة المزاري ما نصه: "أن الباي فرق أموالا كثيرة على أعيان الحشم وكافة العرب فأوقعوا الهزيمة، وفروا وتركوه بجيشه الخاص به منفردا في الحالة الذميمة، فصار جيشه يذب عن نفسه ويسارع في مشيه نحو بستان أولاد رحو (كذا) وهو بستان عظيم من الهندية ليتخلصوا به ويتفسحوا فحال بينهم وبينه جيش الباي

[1] عبد الحق شرف: الحسام المشرفي لقطع لسان الساب الجعرفي الناطق بخرافات الجعسوس سيء الظن الكنسوس للعربي بن عبد القادر المشرفي المتوفى 1895 –دراسة وتحقيق (إلى نهاية الترجمة الرابعة)–، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ والحضارة الاسلامية، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الاسلامية، قسم الحضارة الاسلامية، جامعة وهران، 1432-1433هـ/ 2010-2011م، ص 73.

[2] بن يوسف تلمساني: الطريقة التجانية وموقفها من الحكم المركزي بالجزائر (الحكم العثماني –الأمير عبد القادر –الإدارة الاستعمارية)" 1782-1900"، رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 1997-1998، ص 143.

[3] محمد بن يوسف الزياني: دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران، تح وتق: المهدي البوعبدلي، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013، ط 1، ص 313.

وأوقفوهم بموضع يقال له السمار، وأداروا بهم دور مقياس بسواعد الأبكار، واشتد القتال إلى أن قتل التيجيني بجميع جيشه ولم يفلت منهم واحد".[1]

وبالإضافة إلى الثورات الشعبية التي عرفها بايليك الغرب وأثرت بشكل جلي على الحياة السياسية، فإن هذه الأخيرة شهدت كذلك ممارسة السلطة الحاكمة لظاهرة الاغتيال السياسي والتخلص من الحكام بطريقة بشعة، ورغم استفحال هذه الظاهرة بكثرة في دار السلطان وقضت على جل الدايات في الفترة الأخيرة من العهد العثماني، فإن بعض البايات ببايليك الغرب لم ينجوا من التصفية والقتل بأبشع الطرق على الرغم من أن بعضهم لا تستحق أخطاءهم مثل هذا الجزاء.

ومن ذلك ما تداولته المصادر المحلية من أن الباي محمد المقلش الذي حارب ابن الشريف الدرقاوي وشدد عليه الخناق "عزله أهل الجزائر بالقوة والشدة، وأمر بقتله فقتل شر قتلة بعد أن ذاق أنواعا من العذاب خارجة عن الحد وسببه أنه سرح المحلة للجزائر كما هي عادتها القديمة فيما حكى من الخبر ولما عدم الدواب أمر بحمل الأثقال على البقر فبلغ خبره للباشا فأنف من فعله، وأمر فورا بعزله وقتله".[2]

كما لقي الباي محمد بن عثمان الملقب بالرقيق والمسلوخ والمكنى بأبي كابوس نفس المصير، وذلك لما بعث له داي الجزائر للقيام بحملة على تونس فلبى طلبه، وعندما حل بوادي يلل أعلن العصيان وبايع سلطان المغرب سليمان العلوي وقضى على الأتراك المتواجدين معه ومن ثم شرع في العودة إلى وهران بإشارة من مخزنه، فبلغ الخبر للداي وأرسل له الأغا عمر، فسار إليه هذه الأخير "وقام بقتله بأشر القتل، ونكل به أشد النكل، فأمر بسلخ رأسه وهو حي، وأحشوه قطنا، وبعثه للجزائر".[3]

وتجددت حادثة مقتل بايات بايليك الغرب من طرف الدايات مع الباي علي قار بغلي خليفة الباي السابق، وسبب ذلك أن "علي باشا لما ولي الملك بالجزائر نفى بعض الأتراك من أصحاب عمر باشا إلى وهران وبعث بأثرهم إلى الباي بقتلهم، فلما أحسوا بذلك وفروا إلى محلة الشتاء التي بهبرة

[1] الزياني: نفسه، ص 319. –الآغا بن عودة المزاري: طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر واسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر، تح و در: يحي بوعزيز، ج 1، دار الغرب الاسلامي، بيروت-لبنان، 1990، ط 1، ص 359.

[2] مسلم بن عبد القادر: أنيس الغريب والمسافر، مصدر سابق، ص 96. –محمد بن يوسف الزياني: نفسه، ص 292.

[3] مسلم بن عبد القادر: نفسه، ص 103-105. –محمد بن يوسف الزياني: نفسه، ص 300-303.

فانتهى خبرهم على الباشا، فامتلأ غيظا على الباي، واتهمه بأنه هو الذي صدر منه لهم ذلك الرأي، وكان الوقت وقت دنوش، فلما نزل الباي مدنشا أرسل إليه من قتله وولى مكانه حسن باي".[1]

ويمكن القول أن بايليك الغرب بعد حكم الباي محمد الكبير الذي كانت فترة حكمه من أزهى الفترات في المنطقة، قد عرف تدهورا في جهاز الحكم وتأثرا بما كان يحدث في كامل الإيالة نتيجة انتشار الفساد وتعدي الحكام على الرعية وإثقال كاهلهم بالضرائب لتعويض نفقات الخزينة التي تراجع مدخولها نظرا لتراجع نشاط الجهاد البحري، وكذا سوء علاقة السلطة الحاكمة بالطرق الدينية. بالإضافة إلى تفشي ظاهرة عزل وقتل البايات ومصادرة ممتلكاتهم. كل هذا أدى بالطرق الصوفية ومن ضمنها الدرقاوية والتجانية المنتشرة بالإقليم إلى إعلان التمرد والعصيان على الأتراك واستنزاف قدراتهم القتالية.

-المبحث الثاني: الأوضاع الاقتصادية:

تأثر النشاط الاقتصادي لبايليك الغرب خصوصا وإيالة الجزائر عموما بالأوضاع السياسية السائدة آنذاك، ومن ثم فيمكن إعطاء لمحة عن العناصر الأساسية لاقتصاد بايليك الغرب من فلاحة وصناعة وتجارة.

1-الفلاحة: يذكر حمدان خوجة في المرآة أن بايلك الغرب أقل خصبا وأقل اتساعا من بايلك الشرق.[2] إلا أن الإقليم عرف بوفرة الأراضي الصالحة للزراعة وبه العديد من السهول كسهل غريس الخصب الذي ينتج كميات كبيرة من الحبوب والخضر والفواكه، وكذا سهول تلمسان ومستغانم وهبرة وملیانة وتنس ووهران التي تنتج العديد من المحاصيل.[3]

وعن نوع المزروعات التي ينتجها البايليك وبالإضافة إلى الحبوب التي اشتهرت بها نواحي غريس ووهران، عرفت المنطقة كذلك ازدهار البساتين بأراضي الفحوص المحيطة بالمدن الرئيسية كوهران

[1] مسلم بن عبد القادر: أنيس الغريب والمسافر، مصدر سابق، ص 111-112. -الزياني: دليل الحيران، مصدر سابق، ص 308-309.

[2] حمدان بن عثمان خوجة: المرآة، تق وتع وتح: محمد العربي الزبيري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982، ط 2، ص 93.

[3] توفيق دحماني: النظام الضريبي ببايلك الغرب الجزائري أواخر العهد العثماني (1193هـ/1779م-1246هـ/1830م)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، قسم التاريخ، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، 2003-2004، ص 14.

ومعسكر وتلمسان. ويضاف إليها انتاج القطن بنواحي مستغانم والأرز بسهول الشلف ووادي مينة ومليانة.[1] إذ قدر انتاج الأرز في هاتين المنطقتين بحوالي خمسة آلاف إلى ستة آلاف قنطار في أواخر القرن الثامن عشر.[2] إضافة إلى الشمع والعسل والتين والعنب وغيرها.[3]

ورغم تنوع المحاصيل الزراعية فإنها كانت تعاني من عدة مشاكل وصعوبات عاقت تطورها وازدهارها. وتعود في مجملها إلى الأساليب العتيقة المتبعة والآلات البدائية المستعملة في خدمة الأرض، فأدوات الفلاح آنذاك كانت مقتصرة على المحراث الخشبي والمنجل البدائي والفرشاة البسيطة، كما أن وسائل الري وتحسين الإنتاج واستصلاح مستنقعات السهول الساحلية ظلت غريبة عن سكان الأرياف.[4]

بالإضافة إلى أن الفلاح قد كان معرضا للحملات العسكرية ومهددا من قبائل المخزن، فإنه كان عرضة للأمراض والمجاعات التي كانت تجتاح البلاد من حين لآخر.[5] كما غابت مساهمة الدولة في دعم وتنشيط القطاع الزراعي، إذ كانت تترك الأهالي وشأنهم فيما يخص مصالحهم الفلاحية.[6]

وقد كانت الثروة الحيوانية هي كذلك متاحة في بايليك الغرب وعرف نشاطها انتشارا في الهضاب العليا والسهول الكبرى، إذ كانت المنطقة تعتني بتربية الأبقار والماعز والنعام وغيرها.[7] وحظيت رعاية الخيول وتربيتها باهتمام لدى سكان معسكر فيصفهم حمدان خوجة "بأنهم فلاحون ويشتغلون خاصة بمضاعفة أجناس الخيل المختلفة وغيرها من الحيوانات". [8]كما كانت البايلك يتوفر على الابل في الجنوب، والكثير من البغال والحمير والحيوانات المفترسة كالأسود والنمور التي يصطادها السكان لاستغلال فروها.[9]

---

[1] ناصر الدين سعيدوني: النظام المالي للجزائر في أواخر العهد العثماني (1792-1830)، البصائر الجديدة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2012، ط 3، ص 32.

[2] صالح عباد: الجزائر خلال الحكم التركي، دار الألمعية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013، ص 513.

[3] توفيق دحماني: النظام الضريبي، مرجع سابق، ص 15.

[4] ناصر الدين سعيدوني: نفسه، ص 32-33.

[5] نفسه، ص 33.

[6] نور الدين عبد القادر: صفحات من تاريخ مدينة الجزائر من أقدم عصورها إلى انتهاء العهد التركي، دار الحضارة، الجزائر، ص 153.

[7] توفيق دحماني: النظام الضريبي، مرجع سابق، ص 15.

[8] حمدان خوجة: المرآة، مصدر سابق، ص 97.

[9] توفيق دحماني: نفسه، ص 16.

2-الصناعة: شهدت الصناعة في بايليك الغرب رواجا لدى الأوساط الحضرية بالمدن الكبرى واشتهرت كل مدينة بنوع من الصناعات. كما أنها اقتصرت على الصناعات المحلية اليدوية وبعض الصناعات المعدنية التحويلية البسيطة، وتعتمد في نشاطها على تلبية حاجيات أسواق المدن والأرياف.[1] وتضم ما يلي:

-الصناعة النسيجية: فقد توفرت تلمسان على عدد من معامل الصوف يصنع فيها نوع من الأقمشة العادية التي يستعملها الجيش، كما تصنع فيها المحازم التي يبلغ عرضها أربع بوصات والتي تنسج نسجا متينا وتنقل إلى كامل أنحاء البلاد.[2] واشتهرت كل من ندرومة ومليانة ومستغانم بصناعة الأقمشة القطنية والكتانية، كما عرفت زرابي قلعة بني راشد بجودتها وكانت تصدر إلى المشرق.[3] في حين تشتهر معسكر بصناعة البرانس السوداء ذات اللون الطبيعي والأقمشة الكتيمة والتي تستعمل في كامل أنحاء الجزائر وتصدر إلى مصر وتركيا.[4]

-الصناعة الغذائية: حيث انتشرت بتلمسان ومليانة صناعة تجفيف الفواكه وتحضير المربي وتقطير ماء الورد، واختصت هذه الصناعة بالعائلات الاندلسية والبلدية.[5] واشتهرت مليانة بصناعة نوع من المعجون بعصير العنب واللوز يمكن الاحتفاظ به طوال السنة.[6]

-الصناعة المعدنية والتحويلية: وتتمثل في صناعة البنادق بقلعة بني راشد، واستخراج الملح من وهران، وصناعة الأدوات الفخارية والأواني الخزفية والزليج في كل من ندرومة وتلمسان[7]

---

[1] ناصر الدين سعيدوني: النظام المالي، مرجع سابق، ص 33.

[2] حمدان خوجة: نفسه، ص 95.

[3] كمال بن صحراوي: أوضاع الريف في بايلك الغرب الجزائري أواخر العهد العثماني، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ الحديث، قسم التاريخ وعلم الآثار، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 2012-2013، ص 216.

[4] حمدان خوجة: المرآة، مصدر سابق،، ص 97.

[5] ناصر الدين سعيدوني والمهدي البوعبدلي: الجزائر في التاريخ العهد العثماني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص 68.

[6] حمدان خوجة: نفسه، ص 96.

[7] ناصر الدين سعيدوني والمهدي البوعبدلي: نفسه، ص 66-67.

-صناعة الجلود: وتنتشر في كل من تلمسان ومازونة وقلعة بني راشد ومستغانم، وتشمل صناعة السروج والألجمة والمحافظ وغيرها.[1]

والملاحظ أن هذه الصناعات كانت منتشرة خلال العهد العثماني إلا أن في آخر فتراتها لقي هذا النشاط تذبذب وتراجع في مردودية الإنتاج. وذلك نظرا لتعرض الصناع والحرفيون لأزمة كساد مصنوعاتهم وانخفاض أسعارها، بالإضافة إلى إثقالهم بالضرائب التي فرضها الحكام على أمناء الحرف وألزموا الصناع بتسديدها، وكذا منافسة المصنوعات الأجنبية لها بحيث سعى جهاز الحكم إلى تشجيع استيراد المنتوجات من أوروبا مما انعكس سلبا على نوعية المصنوعات الجزائرية وحد من انتشارها.[2]

3-التجارة: وتعد من العناصر الأساسية الهامة المحركة لاقتصاد إيالة الجزائر العثمانية وسعى الحكام إلى الاهتمام والاشتغال بها لما توفره من أرباح وما تدره على الخزينة من مداخيل هامة. حيث يذكر حمدان خوجة أن باي وهران مهتم بالتجارة "ويأخذ رسما مقداره 5 بالمئة من السلع، ويبيع هذه البضائع إلى السكان نقدا أو مقابل حبوب ومواشي كالأبقار والأغنام. وبهذه الحالة يكون هو أيضا تاجرا".[3] ويمكن تصنيف التجارة إلى نوعين:

-التجارة الداخلية: كان لتنوع الإنتاج الزراعي والحيواني أثر في انتعاش القطاع التجاري، ومن ثم أصبحت المدن الجزائرية مراكز تجارية مهمة تفد إليها الأهالي من مختلف الجهات لشراء حاجاتهم وبيع منتوجاتهم، وهذا ما خلق نوعا من الترابط بين المدن والأرياف.[4] ومن أهم المراكز التجارية التي عرفتها بايليك الغرب وكانت ذا نشاط وحيوية هي: تلمسان ومعسكر ووهران بعدما اتخذت عاصمة للبايلك وصار ميناؤها مركزا تجاريا.[5]

ومعلوم أن المبادلات التجارية عادة ما تتم في الأسواق، وبالتالي فإنها على مستوى بايليك الغرب كانت تتم في المدن والأرياف كما هو الحال في باقي الإيالة. بحيث كانت هذه الأسواق تقام أسبوعيا

---

[1] ناصر الدين سعيدوني والمهدي البوعبدلي: نفسه: ص 69.

[2] نفسه، ص 62-63.

[3] حمدان خوجة: المرآة، مصدر سابق، ص 97.

[4] أرزقي شويتام: المجتمع الجزائري وفعالياته في العهد العثماني 1519-1830م، رسالة مقدمة لنيل درجة دكتوراه دولة في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، 2005-2006، ص 233.

[5] توفيق دحماني: النظام الضريبي، مرجع سابق، ص 18.

وبعضها كان سنويا، وتعرف عادة بالاسم الذي تقام فيه إضافة إلى اسم القبيلة أو المنطقة الجغرافية التي كان يعقد فيها.[1] كما تتواجد أهم الأسواق في التل وإليها يأتي السكان الرحل ومعهم منتوجاتهم المصنوعة لديهم أو المنتوجات التي حصلوا عليها من افريقيا الداخلية، ليتزودوا في المقابل بمنتوجات التل والمنتوجات الأوروبية.[2] ومن ذلك أن القبائل الصحراوية تقوم بتجارة موسمية إلى الأسواق التلية محملة بالتمور والصوف المغزولة، وتأخذ منها أثناء عودتها الصوف الخام والحبوب والاغنام والزبدة، وعادة ما تتم هذه المبادلات في مواسم الحصاد.[3]

-التجارة الخارجية: ونظرا لانفتاح بايليك الغرب على عدة جهات تتمثل في اشرافه على الساحل الغربي لإيالة الجزائر والمطلة على حوض البحر المتوسط وكذا وقوعه على حدود المغرب الأقصى في الجهة الغربية، ومن ناحية الشرق يتصل ببايليك التيطري وبايليك الشرق ودار السلطان، ومن الجهة الجنوبية فإن علاقاته التجارية تصل إلى الصحراء والسودان الغربي. وعليه فإن التجارة الخارجية كانت تتم مع بقية بلدان المغرب العربي والأقطار العثمانية بالمشرق، بالإضافة إلى الدول الأوروبية التي ما فتئت أهمية التبادل التجاري تتزايد معها.[4]

وعن المشاكل والصعوبات التي اعترضت التجارة بشقيها الداخلي والخارجي في بايليك الغرب فإنها وبالرغم ما نال الأنشطة الأخرى من معوقات وتأثرها بالظروف السائدة آنذاك، فتتلخص في مجملها حول ما كانت تشهده الساحة الاقتصادية في أواخر العهد العثماني من احتكار اليهود وسيطرتهم على التجارة الجزائرية، حيث غدت هذه الطائفة الممثلة الوحيدة لتجارة إيالة الجزائر في الأسواق الأوروبية. وقد اشتهرت بهذه المعاملات التجارية شركة بكري وبوشناق التي احتكرت ثلثي التجارة الجزائرية وتولت تزويد الأسواق الفرنسية بالحبوب.[5] وكذلك قيامهم بدور الوسطاء للوكالات التجارية بالمنطقة والمكلفين

[1] جميلة مشرفي: الأسواق في بايلك الغرب خلال عهد الدايات (1671-1830م)، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه الطور الثالث تخصص: تاريخ الحوض الغربي للمتوسط: تاريخ وحضارة، قسم العلوم الإنسانية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة مصطفى اسطمبولي-معسكر، 2017-2018، ص 61.

[2] كمال بن صحراوي: أوضاع الريف، مرجع سابق، ص 222.

[3] أرزقي شويتام: المجتمع الجزائري، مرجع سابق، ص 239.

[4] ناصر الدين سعيدوني: النظام المالي، مرجع سابق، ص 39.

[5] ناصر الدين سعيدوني والمهدي البوعبدلي: الجزائر في التاريخ، مرجع سابق، ص 77.

من قبل البايات بالمعاملات التجارية مع الأجانب، ومن ثم أصبح نشاطهم يخدم مصالح الدول الأجنبية على حساب اقتصاد البايلك.[1]

بالاضافة إلى احتكار الدولة لتجارة المواد الأولية وفرض أسعار منخفضة عند بيع انتاجهم بدون النظر إلى النوعية أو الحجم وتمكين الأجانب من الحصول على ذلك الإنتاج بأسعار معتدلة ليعيدون بيعه بأسعار مرتفعة.[2] وكل هذه العوامل وغيرها ساهمت في تقويض النشاط التجاري بإيالة الجزائر وتراجع دوره الاقتصادي مما أثر سلبا على المجتمع والدولة.

-المبحث الثالث: الأوضاع الاجتماعية:

قسم المؤرخين والباحثين المهتمين بتاريخ الجزائر في العهد العثماني المجتمع الجزائري إلى صنفين، يتمثل أولها في سكان المدن والثاني يشمل سكان الأرياف. إذ يرجح الدكتور سعيدوني عددهم على مستوى القطر الجزائري في أواخر العهد العثماني إلى ما بين ثلاثة ملايين وثلاثة ملايين ونصف نسمة، ومعظمهم يقطنون بالأرياف، بينما المدن لا يؤلف سكانها سوى 5% من مجموع السكان.[3]

1-سكان المدن: وينقسم سكان بايليك الغرب على غرار باقي سكان الإيالة إلى مجموعات طائفية وحرفية، اتخذت شكلا هرميا تحتل قمته الأقلية التركية ثم تليها جماعة الكراغلة ثم طبقة الحضر بما فيها من أندلسيين وأشراف، ثم جماعات البرانية والدخلاء التي تضم الوافدين إلى المدن من مختلف الجهات وتشمل اليهود والنصارى.[4]

---

[1] فارس العيد: **الأوضاع الاقتصادية في بايلك الغرب الجزائري أواخر العهد العثماني، في الساورة للدراسات الإنسانية والاجتماعية**، مج 3، ع 2، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة طاهري محمد -بشار، الجزائر، جوان 2017، ص 153.

[2] ناصر الدين سعيدوني والمهدي البوعبدلي: الجزائر في التاريخ، ص 79.

[3] ناصر الدين سعيدوني: النظام المالي، مرجع سابق، ص 39.

[4] نفسه، ص 40. –ناصر الدين سعيدوني والمهدي البوعبدلي: نفسه، ص 87.

إذ يقدر عدد السكان في تلمسان 14 ألف نسمة، بينما في مدينة وهران ومعسكر كان يقدر سكان كل واحدة منهما بحوالي 10آلاف نسمة.[1] أما مجموع سكان البايلك في أواخر العهد العثماني فقدر بحوالي 600 ألف نسمة يشكلون 275 قبيلة.[2]

2-سكان الأرياف: وكما أشرنا سابقا بأن الأرياف تحتل غالبية السكان مقارنة بالمدينة، فقد كان التصنيف الاجتماعي لسكان أرياف بايلك الغرب منظما وينتمون إلى قبائل شتى.[3] لذلك سعت السلطة الحاكمة كي يتسنى لها الهيمنة على الأرياف قامت بتقسيم السكان إلى مجموعتين هي: قبائل المخزن وقبائل الرعية،[4] ومجموعة ثالثة خارجة عن نطاق حكم البايلك وهي القبائل الممتنعة.

-قبائل المخزن: وتتمركز هذه القبائل في الأماكن الاستراتيجية كضواحي المدن والحاميات لتسهيل حركة مرور الجند، وفي الأسواق وبجانب مخازن الحبوب والطواحين وغيرها. وتكلف بحراسة الأبراج والحصون والممرات الرئيسية والمسالك الجبلية. كما اعتمد عليها جهاز الحكم في استخلاص الضرائب وحفظ الأمن مقابل إعفائها من تسديد الضرائب.[5]

-قبائل الرعية: ويشكلون غالبية سكان الأرياف، وتتكون من مجموع القبائل الخاضعة مباشرة للبايلك وتقع تحت مراقبة المخزن.[6] وتسلط عليها مختلف أنواع الضرائب.[7]

-القبائل الممتنعة: وهي القبائل التي كانت تعيش خارج نفوذ البايلك وتمتنع عن أداء الضرائب، وتتألف في أغلبها من القبائل التي كانت تسكن المناطق الجبلية الوعرة المسالك أو أقصى الحدود المغربية

---

[1] ناصر الدين سعيدوني: النظام المالي، مرجع سابق، ص 40.

[2] توفيق دحماني: النظام الضريبي، مرجع سابق، ص 27.

[3] سميرة طالي معمر: القوى المحلية في بايلك الغرب الجزائري في أواخر العهد العثماني (1206-1246هـ/1792-1831م)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، قسم التاريخ، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، 2009-2010، ص 25.

[4] عائشة غطاس وآخرون: الدولة الجزائرية الحديثة ومؤسساتها، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر، الجزائر، ص 229.

[5] توفيق دحماني: **البنية القبلية في الغرب الجزائري أواخر الفترة العثمانية، في: المجلة المغاربية للمخطوطات**، مج 2، ع 1، جامعة الجزائر 2، الجزائر، جوان 2006، ص 55.

[6] نفسه: ص 60.

[7] عائشة غطاس وآخرون: نفسه، ص 229.

أو في الهضاب الوهرانية، وكذلك القبائل الواقعة على تخوم الصحراء وتعتمد في أسلوب عيشها على الترحال.[1]

وللتعرف على الأوضاع الاجتماعية للسكان سواء في المدينة أو الريف فإنها كثيرا ما ترتبط بالحالة الصحية والمعيشية. ومن ثم تكون لها انعكاسات على الحياة الاجتماعية والنمو الديموغرافي. وقد عرفت إيالة الجزائر عدة أمراض وأوبئة كالطاعون والكوليرا وأدت إلى وفاة العديد من سكان المدن الكبرى.[2]

إذ يعود سبب سوء الحالة الصحية إلى انتقال العدوى وانتشار الأمراض من الأقطار المجاورة.[3] كما أن معظم الأوبئة التي تعرضت لها الجزائر كانت تأتي عن طريق البحر وبواسطة سفن الحجاج وغيرها التي كانت تأتي من أماكن مصابة بالداء وتدخل إلى موانئ الجزائر.[4] وكذلك انتشار المستنقعات بالسهول الساحلية وحول بعض المدن الداخلية، وكذا انعدام التدابير الوقائية، والجهل النسبي بالقواعد الصحية.[5] ومن ثم تعم هذه الأمراض كامل الإيالة وتؤدي بالسكان إلى الهلاك. وتجدر الإشارة إلى أن الأوبئة ومنها الطاعون عادة ما ترتبط بالعوامل الأخرى المؤثرة في الصحة، مثل الاضطرابات الجوية والتذبذبات المناخية وفترات الجفاف والفيضانات، إضافة إلى اجتياح الجراد وما يصحبها من قحط ومجاعات.[6]

ومنه فإن الحالة الصحية كانت من أهم العوامل التي أثرت بشكل مباشر في الأوضاع الاجتماعية وساهمت في تراجع النمو الديموغرافي في بايلك الغرب خاصة وإيالة الجزائر عامة، مما أدى بانعكاسها على معيشة السكان وتضرر الأوضاع الاقتصادية والسياسية من تبعاتها.

---

[1] سميرة طالي معمر: مرجع سابق، ص 101-102.

[2] محمد الزين: **نظرة على الأحوال الصحية بالجزائر العثمانية في أواخر عهد الدايات، في: مجلة الواحات للبحوث والدراسات، ع** 17، جامعة غرداية، الجزائر، 2012، ص 129.

[3] ناصر الدين سعيدوني والمهدي البوعبدلي: مرجع سابق، ص 88.

[4] عائشة غطاس: **الوضع الصحي للجزائر خلال العهد العثماني، في: مجلة الثقافة**، السنة 13، ع 76، رمضان-شوال 1403هـ يوليو-أغسطس 1983م، الجزائر، ص 124.

[5] مختار بونقاب: الحياة الثقافية في بايلك الغرب خلال القرنين: 18م 19م، رسالة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم العلوم الإنسانية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة جيلالي اليابس-سيدي بلعباس، الجزائر، 2015-2016، ص 53.

[6] فلة موساوي القشاعي: **وباء الطاعون في الجزائر العثمانية دوراته وسلم حدته وطرق انتقاله، في: دراسات في العلوم الإنسانية والاجتماعية**، مج 1، ع 1، جامعة الجزائر 2، الجزائر، جوان 2001، ص 134.

-المبحث الرابع: الأوضاع الثقافية:

كانت الحياة الثقافية في بايلك الغرب قبل حكم الباي محمد الكبير في حالة ركود وتتسم بالخمود والجمود والتحجر،[1] إذ انصرف الناس إلى الانشغال بالتجارة وأمور معيشتهم على حساب تحصيل العلم، وفي ذلك يقول ابن سحنون الراشدي: "كاد يترك إشتغالا بالتجارة لقلة جدواه".[2] ودعم هذا القول أبو راس الناصر بقوله: "أني في زمن عطلت فيه مشاهد العلم ومعاهده وسدت مصادره وموارده وخلت دياره ومراسمه وعفت أطلاله ومعالمه لا سيما فن التاريخ والأدب وأخبار الأوائل والنسب قد طرحت في زوايا الهجران ونسجت عليها عناكب النسيان وأشرفت شمسها على الأفول واستوطن مجدها زوايا الخمول ...".[3]

ومع تولي الباي محمد الكبير لبايلك الغرب انتعشت الحركة الثقافية وحظيت بالدعم المادي والتشجيع المعنوي، إذ انصرفت همته إلى تشييد المساجد وبناء المدارس والزوايا وأسند إليها الكتب والمكتبات. كما كان الباي محبا للعلم ومقربا العلماء إليه، فيحسن وفادتهم ويكرمهم بالعطايا والمنح، وفي هذا المضمار يذكر ابن سحنون ما نصه: "وأما حبه للعلم وإحسانه للعلماء الأخيار فقد شاع منه ما يغني عن الأخبار، وكم من تأليف نشأ بأمره، ونال مؤلفه به وافر بره".[4] وبذلك مثّل عهده نهضة علمية بارزة تجلت مظاهرها في بروز حواضر كمراكز إشعاع علمي وفكري مثل مازونة ومعسكر ووهران وغيرها.[5] غير أنه بعد وفاة هذا الباي تراجع النشاط الثقافي وقلت حركيته ولم تحظى بالعناية اللازمة من خلفاء الباي محمد الكبير. وذلك بفعل الاضطرابات وانعدام الأمن واشتغال الحكام عنه، فأصبح النشاط

[1] بوجلال قدور: مظاهر التقارب والقطيعة بين العلماء والسلطة العثمانية في بايلك الغرب فترة الدايات 1671-1830م، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ الحديث، قسم التاريخ وعلم الآثار، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية، جامعة وهران 1 أحمد بن بلة، 2016-2017م، ص 201.

[2] ابن سحنون الراشدي: الثغر الجماني...، مصدر سابق، ص 143.

[3] أبو راس الناصر: عجائب الأسفار...، مصدر سابق، ص 53.

[4] ابن سحنون الراشدي: نفسه، ص 154.

[5] كاميلية دغموش: السلطة والمجتمع في بايلك الغرب الجزائري (1792-1830م)، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية، جامعة وهران 1 أحمد بن بلة، 2019-2020م، ص 273.

الثقافي يقوم على جهود العلماء الذين لم ينقطعوا عن التدريس ولم يتوقفوا عن التأليف كأبي راس الناصري.[1]

1-التعليم: يعتبر التعليم من العوامل المهمة في التعرف على الحياة الثقافية لأي مجتمع، إذ عرف بايلك الغرب رواج النشاط التعليمي والذي يمر بثلاث مراحل هي:

1-1-التعليم الابتدائي: ويمثل المستوى الأول للتعليم في الجزائر خلال العهد العثماني، وتنحصر أساليبه المتبعة في تعليم القراءة والكتابة وتحفيظ القرآن الكريم، وتدريس العلوم الدينية واللغوية.[2] وقد كانت طريقة التعليم الابتدائي تقوم على جلوس المؤدب على رأس الكتاب متربعا على حصير أو نحوه، ويتحلق حوله التلاميذ في شكل دوائر وبيد كل واحد منهم لوحة كبيرة أو صغيرة يكتب عليها آيات من القرآن الكريم.[3] أما الأدوات المستعملة في الدرس فتتمثل في الأقلام القصبية والألواح الخشبية، والصلصال لمحوها، والصمغ بمثابة الحبر.[4]

1-2-التعليم الثانوي: يأتي في المستوى الثاني من مراحل التعليم. حيث يزاول التلاميذ دراستهم في هذه المرحلة بالجامع أو مدرسة تابعة للأوقاف.[5] وفيها يكون للطلبة الحرية في اختيار المواد التي يرغبون في دراستها، فيتعلمون اللغة وفروعها من نحو وصرف وغيرها من العلوم.[6]

1-3-التعليم العالي: يمثل الطور الثالث من المرحلة التعليمية. وخصص لتدارس العلوم الدينية، كالفقه والتفسير والحديث والتوحيد وغيرها.[7] إذ كان هذا النوع من التعليم يتم في المدارس والمساجد الكبرى والزوايا ومنتشرا في كامل البلاد.[8] وله نظام خاص يتكفل به مجلس مؤلف من المفتيين المالكي والحنفي

---

[1] توفيق دحماني: النظام الضريبي...، مرجع سابق، ص 139.

[2] سعدية رقاد: المؤسسات العلمية في بايلك الغرب الجزائري خلال العهد العثماني (1700-1830م)، أطروحة لنيل درجة الدكتوراه في الطور الثالث، قسم التاريخ وعلم الآثار، كلية العلوم الانسانية والعلوم الاسلامية، جامعة وهران 1 أحمد بن بلة، 1440-1441هـ/2018-2019م، ص 239.

[3] أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي ج1، مرجع سابق، ص 339.

[4] توفيق دحماني: نفسه، ص 31.

[5] توفيق دحماني: مرجع سابق، ص 31.

[6] كاميلية دغموش: السلطة والمجتمع في بايلك الغرب، مرجع سابق، ص 282.

[7] أرزقي شويتام: المجتمع الجزائري...، مرجع سابق، ص 343.

[8] سعدية رقاد: نفسه، ص 249.

والقاضيين المالكي والحنفي، وهذا المجلس يعين ناظرا يقوم على التدريس وكذا تقديم العلماء المترشحين لكراسي التدريس.[1]

وتتكون هيئة التدريس في المراحل التعليمية الثلاثة من أساتذة متفرغين يتقاضون أجورهم من الأوقاف المحبوسة على المساجد والزوايا والمدارس، ومن أساتذة متطوعين يساهمون ببعض الدروس تقربا إلى الله، بالإضافة إلى الأساتذة الزائرين.[2]

2-المؤسسات الثقافية: شهد بايلك الغرب انتشار واسع للمؤسسات الثقافية نذكر منها:

2-1-المساجد: وتعد من أهم المؤسسات الدينية، وتتمثل وظيفتها في إقامة شعائر العبادة ونشر العلم، إذ لا تخلو قرية أو مدينة من مسجد. فهي ملتقى العباد ومجمع الأعيان ومنشط الحياة العلمية والاجتماعية.[3]

ومن المساجد والجوامع ببايلك الغرب نذكر: في تلمسان التي أحصي بها في آخر العهد العثماني خمسون مسجدا. وفي معسكر قام الباي محمد الكبير بتشييد مسجده الأعظم المعروف بجامع العين البيضاء،[4] وكذلك تجديد وتوسيع الجامع الكبير الذي يعد من أقدم جوامع معسكر وأهمها على الإطلاق.[5] وفي مدينة وهران قام الباي محمد الكبير بإنجاز عدة مساجد منها: جامع الباي بخنق النطاح سنة 1793م، والجامع الكبير أو مسجد الباشا سنة 1796م بأمر من الداي بابا حسن تخليدا لفتح وهران. وأسس الباي عثمان جامع محمد بن عثمان الكبير خلال عامي 1799-1800م بجوار برج القصبة.[6]

2-2-الزوايا: عرفت الزوايا في الغرب الجزائري انتشارا واسعا مقارنة بالشرق، وذلك نظرا لاستمرار الجهاد ولقربها من المغرب الأقصى التي تكثر فيها الزوايا والمرابطين.[7] وتشمل وظيفتها في كونها مؤسسة

[1] إبراهيم مياسي: مقاربات في تاريخ الجزائر 1830-1962، دار هومه، الجزائر، 2016، ط 3، ص 153.

[2] العيد مسعود: **حركة التعليم في الجزائر خلال العهد العثماني، في: مجلة سيرتا**، السنة الثانية، ع 3، معهد العلوم الاجتماعية، جامعة قسنطينة، الجزائر، رجب 1400هـ-ماي 1980م، ص 67.

[3] أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي ج1، مرجع سابق، ص 246.

[4] أبو القاسم سعد الله، مرجع سابق، ص 250.

[5] مختار بونقاب: الحياة الثقافية...، مرجع سابق، ص 60.

[6] يحي بوعزيز: مدينة وهران عبر التاريخ، مرجع سابق، ص 94-95.

[7] أبو القاسم سعد الله: نفسه، ص 268.

كاملة فيها السكن والطعام والملجأ، والتعليم والعبادة، بالإضافة إلى كونها في بعض الأحيان مدارس عليا لمواصلة التعليم.[1]

ومن الزوايا المشهورة ببايلك الغرب نذكر: زاوية القادرية التي حققت نهضة علمية واعتنت بالعلم وتكوين العلماء، وتتبعها عدة زوايا أخرى مثل زاوية مصطفى الرماصي، وزاوية أبي راس الناصر، وزاوية المشرفي، وزاوية المازوني، وزاوية الخطابي، وزاوية التلمساني.[2]

2-3-المدارس: ويعرفها أبو راس الناصري بقوله: "المدرسة المتعارفة عندنا الآن هي التي تبنى لدراسة العلم أي لتعليمه وتعلمه ".[3] فالمفهوم من قول ابي راس الناصري أن المدرسة تنحصر وظيفتها في التعليم وتحصيل العلم دون أداء العبادات مثلما هو الحال بالنسبة للمسجد أو الزاوية. وقد عرف بايلك الغرب تواجد العديد من هذه المؤسسات التعلمية ونالت شهرة كبيرة وخرجت علماء أعلام في شتى العلوم والفنون.

ومن المدارس المنتشرة بالإقليم نذكر: مدرسة مازونة التي كانت تحظى بأهمية كبيرة في الناحية الغربية للبلاد، ومن أقدم المدارس في الجهة. إذ نالت شهرة كبيرة في علوم الفقه والحديث وعلم الكلام. واستمر إشعاعها حتى أواخر العهد العثماني، واستقطبت الطلاب من مختلف نواحي بايلك الغرب، ويعد أبو راس الناصر من أبرز خريجيها.[4]

وكذلك اشتهرت في معسكر المدرسة المحمدية التي كانت في طليعة المدارس العلمية في الناحية الغربية للإيالة وهي تنتسب إلى مؤسسها الباي محمد الكبير، والذي شيدها إلى جانب الجامع الأعظم.[5] ويصفها ابن سحنون الراشدي بأنها: "المدرسة التي كاد العلم أن يتفجر من جوانبها".[6] وهذه المقولة توافق ما كان يشهده البايلك من نهضة ثقافية وعلمية إبان حكم الباي محمد الكبير. كما قام هذا

[1] مختار بونقاب: الحياة الثقافية...، ص 75.

[2] بن عمر حمدادو: **واقع الحياة الثقافية والفكرية أواخر العهد العثماني ببايلك الغرب، في: حوليات التاريخ والجغرافيا**، مج 4، ع 7، المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة، الجزائر، ديسمبر 2013، ص 26.

[3] أبو راس الناصر: عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، ج 1، مصدر سابق، ص 188.

[4] أبو القاسم سعد الله: نفسه، ص 285.

[5] سعدية رقاد: المؤسسات العلمية...، مرجع سابق، ص 132.

[6] ابن سحنون الراشدي: الثغر الجماني...، مصدر سابق، ص 136.

الأخير بتشييد مدرسة خنق النطاح في مدينة وهران، إذ يذكر الزياني ما نصه: " وبنى المدرسة العظيمة بخنق النطاح التي بها ضريحه، وتعرف للآن بالمدرسة".[1]

3-الإنتاج الثقافي: اتسم الإنتاج الثقافي لبايليك الغرب الجزائري في أواخر العهد العثماني بغلبة التآليف في العلوم النقلية على العلوم العقلية، إذ كاد ينحصر في العلوم الشرعية والصوفية والمجالات الأدبية، ويعود ذلك إلى طبيعة تكوين الفرد الجزائري الدينية وكون القرآن والحديث المنبع الذي يستمد منه الجزائريين كل ألوان تفكيرهم وأنماط حياتهم.[2]

وتعد مناسبة فتح وهران الحدث الذي فجر قريحة الكتاب والمؤلفين وظهرت خلالها عدت تآليف تخلد الحادثة التاريخية، خاصة بعد الدعم الذي لقوه من الباي محمد الكبير، ومن ذلك نذكر: كتاب الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني لابن سحنون الراشدي، كتاب الرحلة القمرية في السيرة المحمدية لابن زرفة الدحاوي، والمؤلفات الغزيرة للعلامة أبو راس الناصر.[3]

وكما أشرنا سابقا بخصوص مرحلة ما بعد الباي محمد الكبير حيث عمّ الضعف والتقهقر في بايلك الغرب مختلف مناحي الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وبالتالي إنتقال العدوى للحياة الثقافية نتيجة سياسة بعض البايات المعادية للعلماء والمؤسسات الدينية خاصة منها الزوايا التي تنتسب للطريقتين الدرقاوية والتجانية. إذ عرف الباي حسن آخر بايات بايلك الغرب بشدة ظلمه وتعديه على العلماء والنيل منهم، فيصفه الزياني بقوله: "ثم كثر عبث هذا الباي واجتراؤه على العلماء والأولياء والرعية بغاية تعديه، وبان منه الظلم والتعدي، وكثر منه الضلال والتردي، فأكثر من سفك الدماء في العباد، وتكرر ظلمه والفساد".[4]

---

[1] محمد بن يوسف الزياني: دليل الحيران...، مصدر سابق، ص 267.

[2] أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج 2، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1998، ط 1، ص 9.

[3] رقية شارف: التاريخ والمؤرخون الجزائريون خلال العهد العثماني وإلى غاية 1267هـ/1850م دراسة وصفية- تحليلية- نقدية- مقارنة مقاربة في المنهج التاريخي، رسالة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، كلية العلوم الانسانية، جامعة الجزائر -2- أبو القاسم سعد الله، 2016-2017، ص 67.

[4] الزياني: دليل الحيران...، مصدر سابق، ص 311.

-الفصل الأول:

التعريف بالمؤلَف مسلم بن عبد القادر والكتاب أنيس الغريب والمسافر

-المبحث الأول: شخصية مسلم بن عبد القادر

-المبحث الثاني: التعريف بكتاب أنيس الغريب والمسافر

-المبحث الثالث: مضمون ومحتوى الكتاب

-المبحث الرابع: أهمية وقيمة الكتاب التاريخية

-المبحث الأول: شخصية مسلم بن عبد القادر:

اتسمت حياة مسلم بن عبد القادر بالغموض ولم يعرف عن شخصيته إلاّ النزر القليل، إذ لم توجد له ترجمة في كتب التراجم وحامت حول فترة نشأته الالتباس، وبالتالي فإن السؤال يطرح نفسه: لماذا لم يدوّن مسلم بن عبد القادر سيرته الذاتية؟ أو بالأحرى ما السبب في عدم وجود ترجمة وافية للمؤلف؟ حيث أن المؤلفات التي اهتمت بالتراجم ككتاب تعريف الخلف برجال السلف لأبي القاسم الحفناوي ومعجم أعلام الجزائر لعادل نويهض لم تذكره ضمن محتوياتها، ورغم ذلك تمكن بعض المؤرخين والباحثين من لملمة شتات من سيرته والتطرق لإنتاجه العلمي.

1-إسمه ونسبه: ورد اسمه تحت تسمية مسلّم (بتشديد اللام) بن عبد القادر الوهراني، ونقل رابح بونار عن كتاب الديوان المطرب أنه محمد بن مسلم الوهراني بزيادة محمد وهي زيادة ليست لها مستند صحيح على حد قوله.[1] أما نسبه فهو الوهراني دارا الحميري الزايري أصلا ومحتدا.[2]

وقبل سقوط مدينة وهران على يد الاحتلال الفرنسي لجأ مسلم بن عبد القادر إلى مضارب قبيلته بعين تموشنت أين توفي هناك بعد سنتين (1248هـ/1832م).[3] حيث يذكر الزياني أنه دفن بسيدي المسعود ببلدة تارقة.[4]

2-وظائفه: عرف مسلم بن عبد القادر بلقب الخوجة،[5] وذلك نظرا لمكانته المرموقة كأحد الشخصيات العلمية والمخزنية بباياك الغرب. حيث كان ميسور الحال نظرا لمصاهرته كبار الشخصيات والموظفين، وله مكانة بارزة في مجتمعه بفضل علمه ونباهته واجتهاده.[6] فتولّى في أول عهده وظيفة خوجة (كاتب)

---

[1] مسلم بن عبد القادر: أنيس الغريب والمسافر، مصدر سابق، ص 33.

[2] صادق بن قادة: **الذاكرة المكتوبة والتاريخ: أضواء جديدة حول شخصية مسلم بن عبد القادر الوهراني أديب ومؤرخ بايات وهران (القرن 13هـ/19م)**، في: **مجلة إنسانيات**، ع 3، مركز البحث في الأنثروبولوجية الاجتماعية والثقافية، وهران، 1998، ص 2.

[3] ناصر الدين سعيدوني. من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي تراجم مؤرخين ورحالة جغرافيين، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1999، ط 1، ص 470. -صادق بن قادة: نفسه، ص 2.

[4] محمدبن يوسف الزياني: دليل الحيران وأنيس السهران...، مصدر سابق، ص 66.

[5] الأغا بن عودة المزاري: طلوع سعد السعود، ج 1، مصدر سابق، ص 108.

[6] محمد بن جبور: **الحركة العلمية بالجزائر ومشاهير علماء باياك الغرب في أواخر العهد العثماني (1671-1830)**، في: **مجلة الحوار المتوسطي**، مج 11، ع 2، جامعة جيلالي اليابس-سيدي بلعباس، الجزائر، سبتمبر 2020، ص 100.

لدى الأغا المزاري أحد أغوات مخزن الترك بوهران، ثم باش كاتب (رئيس الكتاب) لدى الباي حسن آخر بايات وهران، والذي ظل على اتصال مباشر به إلى أن انتهى حكم هذا الباي سنة 1248هـ/1832م.[1]

3-عصره: عايش المؤلف الفترة الأخيرة من الحكم العثماني لإيالة الجزائر وبايلك الغرب خصوصا، والممتدة من حكم الباي محمد الكبير إلى غاية نهاية حكم الباي حسن وتسليمه مدينة وهران للاحتلال الفرنسي.[2] حيث تزامنت هذه المرحلة بوقوع عدة أحداث ووقائع هامة أرخ لها في كتاب أنيس والغريب والمسافر.

كما كان مسلم بن عبد القادر ممن عاين حادثة سقوط مدينة الجزائر على يد الجيش الفرنسي،[3] حيث شارك ضمن القوات التي أوفدها الباي حسن إلى مدينة الجزائر للدفاع عنها حينما هاجمها الفرنسيون سنة 1246هـ/1830م، وشاهد انهزام الجيوش التركية ودخول المحتلين الفرنسيين المدينة وسجل ذلك في قصيدة رجزية.[4] وعند رجوعه إلى وهران ترك ديوان بايلك الغرب وغادر المدينة قبل سقوطها في أيدي الفرنسيين.[5]

4-إنتاجه العلمي: وعلاوة على ما عرف به مسلم بن عبد القادر بتوليه لوظائف إدارية في مخزن بايلك الغرب، فإنه انتسب كذلك لفئة النخبة المثقفة وعدّ من ذوي المعرفة بالعلوم الفقهية والفنون الأدبية.[6] كما دعي بالعالم والأديب وتأثر بالشخصيات العلمية المعاصرة له كأبي راس الناصر ومحمود الطاهر بن حواء، ومحمد الصادق الحميسي المازوني، وأحمد بن الطاهر الرزيوي، والقاضي محمد بن الجيلاني الخروبي.[7]

---

[1] رقية شارف: الكتابات التاريخية الجزائرية الحديثة خلال القرن 18 وبداية القرن 19م دراسة تحليلية نقدية، دار الملكية، الجزائر، 2007، ط 1، ص 85.

[2] صادق بن قادة: نفسه، ص 3.

[3] سعدية رقاد: المؤسسات العلمية...، مرجع سابق، ص 305.

[4] مسلم بن عبد القادر: المصدر سابق، ص 33. –رقية شارف: المرجع السابق، ص 86.

[5] ناصر الدين سعيدوني: من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي، مرجع سابق، ص 470.

[6] نفسه، ص 470.

[7] رقية شارف: التاريخ والمؤرخون الجزائريون خلال العهد العثماني وإلى غاية 1267هـ/1850م....، مرجع سابق، ص 149.

وكان لمسلم بن عبد القادر مجلس أدبي يتواعد إليه أدباء عصره بوهران فيلقى منهم المدح والثناء، ومن ذلك ما ذكره بشأنه محمود الطاهر بن حواء بقوله: " أممت مدينة وهران، بقصد أن أجد من تحط لديه رجال المعاني والبيان ... ودللت على ربوة الجادة، وذروة السيادة: سيدي مسلم بن عبد القادر فأممت قبلة مجده وفضله، لتأدية فرض نعمه ونفله، ثم لما وصلت رحب بي وأدناني، وناثرته وناظمته فأعياني، وقصدته الشعراء من كل فج، ومدحته ببديع الشعر المغنّج...".[1] ويفهم من هذا القول أن المؤلف مسلم بن عبد القادر كان يتمتع بمكانة مميزة في الوسط الثقافي بمدينة وهران ولقي مجلسه العلمي اهتماما لدى الأدباء والعلماء.

وينسب له عدة تصانيف منها نظم الجواهر في سلك أهل البصائر وهو شرح لمفردات لغوية وإيضاح لحكم منظومة، وضعه مرتبا على حروف المعجم وجعل فصوله عدد منازل القمر.[2] وطلب من أبو راس الناصر وضع شرح لها، فلبى هذا الأخير رغبته وجمع هذه الأمثال والحكم في كتاب سماه "كشف النقاب ورفع الحجاب، عن أمثال سائرة، وحكم باهرة، ومواعظ زاجرة على ترتيب حروف الهجاء، للسان الدولة، وفارس الجولة، ألهم لها وبادر، السيد مسلم بن عبد القادر". وألحق أبو راس الناصر بهذا التأليف شرحا سماه "إسماع الأصم وشفاء السقم في الأمثال والحكم".[3] بالإضافة إلى أنه يحتمل أنه ترك رسائل مهمة في الكتابة الديوانية بحكم وظيفته التي شغلها. وكذلك نظمه للشعر ومنها القصيدة الرجزية الشهيرة التي ألفها غداة سقوط مدينة الجزائر بيد الاحتلال الفرنسي وحمّل فيها الهزيمة للقوات التركية.[4]

-المبحث الثاني: التعريف بكتاب أنيس الغريب والمسافر:

ورد العنوان الأصلي للكتاب تحت عنوان "خاتمة أنيس الغريب والمسافر في طرائف الحكايات والنوادر" لمسلم بن عبد القادر، وأضاف إليه المحقق رابح بونار عنوان ثانوي "تاريخ بايات وهران المتأخر".[5] وكتبه مؤلفه باللغة العربية، كما أن الكتاب يبدو من عنوانه الأصلي أنه من المؤلفات الأدبية

[1] مسلم بن عبد القادر: أنيس الغريب والمسافر، مصدر سابق، ص 40-41.

[2] ناصر الدين سعيدوني: من التراث التاريخي والجغرافي...، مرجع سابق، ص 471.

[3] صادق بن قادة: الذاكرة المكتوبة والتاريخ...، مرجع سابق، ص 5. -أبو راس الجزائري: فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته "حياة أبي راس الذاتية والعلمية"، تح وتع: محمد بن عبد الكريم الجزائري، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ص 180. – أنظر الملحق رقم 01.

[4] رقية شارف: التاريخ والمؤرخون...، مرجع سابق، ص 150.

[5] نفسه، ص 151.

التي تعنى بفنونه، وبذلك يظهر عنوان الكتاب متأثرا بشخصية المؤلف الأدبية، إذ يدرج محتوى الكتاب ذو الطابع التاريخي تحت عنوان يحمل صبغة أدبية.

والكتاب كمخطوط فإنه يتواجد على نسختين بالمكتبة الوطنية إحداهما تحمل رقم 2317 [1] والثانية تحمل رقم 1635. فالنسخة الأولى تقع في 12 ورقة من الحجم المتوسط 200/156 وسطورها ما بين 20 و21 سطرا، وخطها مغربي جميل يعود إلى القرن الثالث عشر هجري. وأما النسخة الثانية فسطورها 23 وحجمها متوسط 210/150، وبها بعض الاختلافات عن النسخة الأولى وزيادة في الأخير تتصل بتاريخ آخر بايات وهران.[2]

وعن زمن وظروف تأليف مسلم بن عبد القادر لكتاب أنيس الغريب والمسافر فإن محقق الكتاب رابح بونار يرجح أن النسخة الأولى كتبت سنة 1232هـ/1816م، وأما الثانية فقد دوّنت سنة 1248هـ/1832م أي أن المؤلف كتبها ونقحها قبل وفاته،[3] بينما المؤرخ أبو القاسم سعد الله فيذكر وقت تأليفه سنة 1814م، ويذهب إلى أن المؤلف أضاف إليه أمورا بعد الاحتلال نظرا لوجود تاريخ آخر هو سنة 1832م.[4] وقد عرفت فترة تأليف الكتاب تدهور الأوضاع السياسية وتردي الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية نتيجة شيوع الثورات وتسلّط السلطة الحاكمة على الرعية وكذا انتشار الأوبئة والمجاعات.

وقد حظي كتاب أنيس الغريب والمسافر باهتمام الفرنسيين ونشر من طرف أدريان دلباش مترجما إلى اللغة الفرنسية في المجلة الافريقية لعام 1873م وركز فيه على دراسة ثورة درقاوة.[5]

كما أن الكتاب في نسخته المطبوعة قد صدر بتحقيق الأستاذ رابح بونار من طرف الشركة الوطنية للنشر والتوزيع وذلك سنة 1394هـ/1974م، وهي النسخة الوحيدة المتداولة من هذا التأليف، وعدد

---

[1] أنظر الملحق رقم 02.

[2] مسلم بن عبد القادر: مصدر سابق، ص 43-44.

[3] نفسه، ص 44.

[4] أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج 7، دار الغرب الاسلامي، لبنان، 1998، ط 1، ص 358.

[5] أنظر: Adrien Delpech: "Résumé Historique sur LE SOULEVEMENT DES DERK'AOUA DE LA PROVINCE D'ORAN d'après le chronique d'EL-Mossellem ben Mohammed bach daftar du Bey Hassan de 1800 à 1813 (HéG. 1215 a 1228)". In: **R.A.** N 18, 1874, pp 38-58.

صفحاته 127 صفحة، وحجمه متوسط له الأبعاد التالية: 23.5/16.5 سم والسمك: 1 سم. بالإضافة إلى أن المحقق لو يورد قائمة للمصادر والمراجع التي اعتمد عليها كما أنه لم يوظف صورا عن بعض صفحات المخطوط.

وتحوي خاتمة أنيس الغريب والمسافر تأريخ وتسجيل أحداث بايلك الغرب بدءًا من حكم الباي محمد بن عثمان الكبير سنة 1192هـ/1778م وتنتهي باحتلال الفرنسيين لمدينة وهران سنة 1248هـ/ 1832م.[1] فضم هذا الكتاب في ثناياه الأحداث التي وقعت في عهد البايات المتأخرين وهم على التوالي: محمد الكبير، وعثمان بن محمد الكبير، ومصطفى بن عبد الله العجمي، ومحمد المدعو بالمقلش، والفترة الثانية لمصطفى بن عبد الله العجمي، ومحمد بن عثمان المعروف ببوكابوس، وعلي قار بغلي، وحسن بن موسى.[2]

كما يوحي عنوان الكتاب وما ورد في مضامينه أنه وضع بغرض أن يكون فصلا ختاميا لكتاب مطوّل شامل في تاريخ الدول الإسلامية يتضمن اثني عشر بابا وخاتمة، ويبتدئ بسيرة الرسول ﷺ وينتهي بتاريخ بايات وهران المتأخرين، ونظرا لعدم وجود الكتاب كاملا فإنه يحتمل أن الكتاب ظل مجرد خطة لم يتمكن صاحبه من إنجازه كله باستثناء ما وصل إلينا في صورة خاتمة.[3] ويدعم هذا القول ما نقله محقق الكتاب رابح بونار من مؤلف ابن حواء المعنون "بزهر الآداب" أن مسلم بن عبد القادر رتبه على أبواب: ذكر في صدره بعثته عليه السلام ومعجزاته، وذكر في الأبواب التالية جملة من الأمثال والحكم ومناقب الصالحين، وحكايات العشاق، وذوي العفة منهم، وخصّ خاتمته بتاريخ بايات وهران المتأخرين وهي أهم ما في الكتاب.[4]

-المبحث الثالث: مضمون ومحتوى الكتاب:

ضم متن الكتاب تأريخ مسلم بن عبد القادر لدولة كل باي والحوادث التي وقعت في عهده. حيث ابتداء بحكم الباي محمد بن عثمان الكبير بذكر سنة توليه وأوصافه وأهم إنجازاته، والملاحظ أنه اختصر الحديث عنه كأنه اكتفى بما كتب عنه أبو راس المعسكري وصاحب الرحلة القمرية وابن سحنون

[1] مسلم بن عبد القادر: أنيس الغريب والمسافر، مصدر سابق، ص 44-45.

[2] ناصر الدين سعيدوني: من التراث والجغرافي...، مرجع سابق، ص 471.

[3] ناصر الدين سعيدوني: نفسه، ص 471.

[4] مسلم بن عبد القار: نفسه، ص 43.

الراشدي،[1] فجاء بأخبار موجزة عنه وذكر أهم مآثره العمرانية والحربية والعلمية.[2] ثم واصل الحديث عن خلفه وابنه عثمان بذكر سنة توليه وأهم إنجازاته العمرانية، إذ سلك في أول أمره نهج أبيه في تسييره للبايلك ثم لم يلبث أن اتجه إلى حياة اللهو والمجون حتى قام الباشا بعزله. وخلفه الباي مصطفى العجمي، فكان كما قال صاحب الأنيس: "رجلا عاقلا غير أنه جبان"[3]، إذ قامت في عهده الثورة الدرقاوية واشتدت شوكتهم حتى هزموا قوات البايلك في عدة معارك. ثم استطرد المؤلف في تتبع الثورة الدرقاوية وسبب تمردهم ومعاركهم مع المخزن.

ونظرا لعجز الباي مصطفى العجمي في القضاء على تمرد الدرقاويين ولى مكانه محمد باي الملقب بالمقلش، فلما نزل بوهران وجد الثائر الدرقاوي محاصرا المدينة مشددا على أهلها الخناق، فباشر بفك الحصار على أهلها ومحاربة المتمردين ومطاردتهم، إلى أن كثرت انتصارات الباي عليهم فقتل وأسر قواتهم وشتت جمعهم. كما بسط المؤلف في الحديث عن الحروب والمعارك التي دارت بين قوات البايلك وأنصار الدرقاوي وكذا حلفائه من القبائل كبني عامر.

وحلّ مكانه الباي مصطفى العجمي للمرة الثانية، غير أن فترة حكمه لم تدم طويلا لقيام الباشا بتعيينه في منصب الخزناجي. وولي مكانه الباي محمد بن عثمان الملقب بأبو كابوس، وكان شديد البطش بالدرقاويين صارما في تتبع فلولهم، إذ يكفي أن يتهم الرجل بأنه درقاوي حتى يبدع فيه قتلا غير معهود على حد قول المؤلف، غير أنه في آخر عهده تمرد وأعلن العصيان على باشا الجزائر وبايع سلطان المغرب المولى سليمان العلوي وقضى على الأتراك المتواجدين معه في محلته التي كان يعزم أن يجتاح بها تونس، فأرسل له داي الجزائر الآغا عمر وقام باعتقاله وسلخ رأسه وهو حي وحشوه قطنا.[4]

وخلفه في منصب الباي صهره علي قارة بغلي، وكان من رجال المخزن وذا عقل وسياسة، أمنت البلاد في عهده واطمأنت قلوب العباد، كما انقطعت في أيامه ذكر الدرقاويين وظهر في عهده جراد كثير عمّ البلاد شرقا وغربا.[5] كما تطرق المؤلف إلى هجوم الانجليز على مدينة الجزائر والتي حدثت في

---

[1] مسلم بن عبد القادر: نفسه، ص 45.

[2] محمد دادة: **التدوين التاريخي في الجزائر خلال العصر العثماني خصائصه وموضوعاته، في: مجلة عصور الجديدة**، مج 2، ع 3-4، جامعة وهران 1 أحمد بن بلة، 1432هـ-2011م/1433هـ-2012م، ص 127.

[3] مسلم بن عبد القادر: نفسه، ص 70.

[4] نفسه، ص 105.

[5] نفسه، ص 45.

أيام هذا الباي، وكذا تقصيه لأخبار الثائر ابن الشريف الدرقاوي وما لقيه من افتراق أتباعه وإخماد ناره. ثم عاد المؤلف لتتبع أخبار الباي علي وما لقيه من عزل وقتل نتيجة اتهامه من طرف الداي علي بالتساهل في فرار الأتراك من أصحاب عمر باشا، الذين قام الداي بنفيهم إلى الباي علي للتخلص منهم.

وحلّ مكانه الباي حسن بن موسى آخر بايات بايلك الغرب، حيث يذكر مسلم بن عبد القادر الذي كان مقربا منه ومتولي وظيفة باش كاتب في ديوانه، أنه كان في أول عهده طباخا ثم ما لبث أن أصبح من حاشية الباي محمد الرقيق وصهره، كما امتدح المؤلف سيرته في أول حكمه واصفا إياه بأوصاف حميدة، غير أنه لم يفصل الحديث عن فترة حكمه ولم يتطرق للأحداث الهامة لعهده بالرغم من قربه منه، ولابد أن ذلك يعود إلى عدم رضاه عن حياته في البلاط بعد أن تغير سلوك هذا الباي، وما عرف به في آخر مراحل حكمه من فساد أخلاقه وكثرة ظلمه وتعديه على العلماء والرعية.[1]

-المبحث الرابع: أهمية وقيمة الكتاب التاريخية:

يكتسي كتاب أنيس الغريب والمسافر أهمية كبيرة نظرا لقيمة المعلومات التي احتواها، إذ يعد مصدر لا غنى عنه للباحثين والمؤرخين لاستقاء الأحداث التاريخية وأخبار بايات بايلك الغرب خلال أواخر العهد العثماني، فضلا عن أخبار متفرقة تتعلق بإيالة الجزائر والمغرب الأقصى.

إذ لا يكفي للمؤرخ أن يكون معاصرا للحدث لتكسب رواياته قيمة، ولتعتمد كتاباته بوصفها مصدرا أوليا، ما لم تتمتع بالثقة والمصداقية، واعتماده على مشاهدة الأحداث عيانا أو سماع أخبارها عن أناس اشتركوا فيها أو شاهدوها.[2] وكذلك فإن كتابات مسلم بن عبد القادر حظيت بالصراحة والصدق، فنقلت عنه المصادر المتأخرة أخبار وأحداث الناحية الغربية لإيالة الجزائر، وذلك لكونه يقدم صورة عن الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية لعصره.

وتكمن أهمية الكتاب وقيمته في تطرقه للأوضاع السياسية لبايليك الغرب، حيث أرخ في هذا الجانب لسيرة البايات وسياستهم وإنجازاتهم والأحداث الهامة التي وقعت خلال فترة حكمهم، ومن

[1] مسلم بن عبد القادر: نفسه، ص 47-48.

[2] عبد القادر بكاري: منهج الكتابة التاريخية عند المؤرخين الجزائريين في العهد العثماني (1519-1830م)، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ الحديث، قسم التاريخ وعلم الآثار، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 2015-2016، ص 248.

الأحداث الهامة التي ركز عليها مسلم بن عبد القادر في كتابه ونالت القسط الأوفر من التأليف هي الحروب التي دارت رحاها بين قوات البايليك والدرقاويين أثناء قيامهم بالثورة على السلطة العثمانية، وذلك نتيجة امتعاضهم من سياسة البايات وما نالهم من جراء ظلمهم وكثرة المغارم المفروضة عليهم، وكذا مطاردة المخزن لقائد الثورة الدرقاوية ابن الشريف الدرقاوي، فجرت هذه الثورة البلاد إلى الانهيار والتقهقر في شتى الميادين وأضعفت من قدرات الجيش الانكشاري وقوات المخزن.

كما تتسم أهمية الكتاب وقيمته في عدم إهماله للأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والثقافية لبايلك الغرب. فذكر عن الأوضاع الاجتماعية الأوبئة والمجاعات والكوارث الطبيعية التي حلت بالبايلك وذهب أدراجها العديد من الضحايا ومن ضمنهم العلماء والكتاب، وأشار كذلك للقبائل المكونة لمخزن بايلك الغرب والقبائل الممتنعة عن السلطة العثمانية أو الخاضعة لها لكنها حاربت إلى جانب الدرقاويين ضد الحكم العثماني. وأما عن الأوضاع الاقتصادية فأورد بعض الإشارات عن هذا الجانب تتمثل في الأضرار الاقتصادية التي ألحقها ثوار درقاوة بالمحاصيل الزراعية وإفساد القوت والزرع، وكذا غلاء الأسعار الذي حدث في عهد بعض البايات والدايات. أما عن الأوضاع الثقافية فإن أهمية الكتاب في هذا الجانب لا تعدو بعض الإشارات الطفيفة التي أوردها بشأن العلماء وعلاقتهم بالسلطة العثمانية.

وبذلك فإن هذا التأليف مع اختصاره يعتبر مصدرا مهما للتعرف على الوضع السياسي والعسكري والاجتماعي والاقتصادي للناحية الوهرانية (بايلك الغرب) في الفترة الأخيرة التي سبقت الاحتلال الفرنسي، فكان مرجعا للمتأخرين عنه من المؤرخين مثل محمد بن يوسف الزياني في دليل الحيران وابن عودة الذي أخذ عنه في طلوع سعد السعود والكاتب أدريان دلباش (Adrien Delbech) الذي رجع إليه فيما كتبه عن تمرد درقاوة.[1]

[1] ناصر الدين سعيدوني: من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الاسلامي، مرجع سابق، ص 473.

-الفصل الثاني:

القيمة التاريخية لكتاب أنيس الغريب والمسافر

-المبحث الأول: صورة الواقع السياسي والعسكري

-المبحث الثاني: صورة الواقع الاجتماعي

-المبحث الثالث: صورة الواقع الاقتصادي

-المبحث الرابع: الواقع الثقافي خلال القرن التاسع عشر

-المبحث الأول: صورة الواقع السياسي والعسكري:

1-سيرة وخصال وسياسة البايات:

ركز مسلم بن عبد القادر في مؤلفه على تسليط الضوء وتتبع أخبار البايات قبل وبعد تقليدهم الحكم، فيذكر أوصافهم ومزاياهم وسياستهم التي انتهجوها في تسيير البايلك واتجاه الرعية. إذ يبتدئ بذكر سنة تولية الباي والمدة التي بقي فيها في السلطة وأهم الحوادث التي وقعت في فترة حكمه.

ففي دولة الباي محمد الكبير اقتصر الحديث عنه بذكر سنة تقليده بايًا على البايلك وأوصافه وخصاله وغزواته على أهل الصحراء، ثم أهم إنجازاته المتمثلة في فتح مدينة وهران، ومن ذلك قوله: "وكان رجلا جسيما (في الوجه) أسمر اللون، لا بالطويل ولا بالقصير، وكان محبا للعلماء والصلحاء، قريب الغضب سريع الرضا كثير الغزو على أهل الصحراء". وعن فتحه لمدينة وهران يذكر ما نصه: "وفتح مدينة وهران التي أعيت جميع الملوك وردها إلى دار اسلام، رحمه الله وعفا عنه".[1]

وبنفس الأسلوب يستطرد المؤلف في تأريخ سيرة الباي الذي يليه وهو الباي عثمان بن محمد الكبير، حيث يشير إلى أنه سار على نقيض سياسة والده وانحرف عن جادة طريقه في تسيير البايلك، فأهمل شؤون الحكم واتخذ من اللهو والتسلية شغله الشاغل إلى أن بلغ خبره حكام الجزائر وشرعوا في عزله. ومن ذلك ما نصه: "وقد اتخذ مجلسا للخلوة فلا يخرج إلا بعد أيام، وأصحاب المظالم بالباب تنتظر، وتولى الدعاوي أرباب دولته، حتى لحقهم في تلك المدة ربح كثير، حيث رجعت الأمور الملوكية إليهم، .....، إلى أن بلغ ذلك متولي أمره بالجزائر واستشاط من ذلك غضبا فأمر بعزله".[2]

وفي خبره عن دولة الباي محمد الملقب بالمقلش فيذكر المؤلف أنه وبعد انتقاله مع أخيه للبليدة واستقراره بها لمدة، استنجدت به السلطة وعينته على رأس بايلك الغرب للقضاء على الثورة الدرقاوية نظرا لفشل سابقه مصطفى العجمي. فيصف الكاتب الباي محمد المقلش بأنه ذو رياسة وشجاعة، ويورد أن سياسته اتجاه تمرد الدرقاويين اتسمت بالشدة والصرامة، حيث عادت الانتصارات لصالح البايلك وقاد عدة معارك ضدهم منها أولاد الزائر وجديرة وتافنة.

---

[1] مسلم بن عبد القادر: أنيس الغريب والمسافر، مصدر سابق، ص 62-63.

[2] نفسه، ص 66-67.

كذلك تميزت سياسة الباي محمد بن عثمان الملقب بأبو كابوس بالقسوة والغلظة في تعامله مع الثائر ابن الشريف الدرقاوي وأتباعه، إلا أن سياسته هاته لم تشفع له لدى داي الجزائر، فلقي حتفه بطريقة شنيعة ومأسوية نظير تمرده وعصيانه لأوامر رؤسائه.

وعن تطرقه لدولة الباي علي قار بغلي فإنه يعده من رجال المخزن وصاحب عقل ودين وميثاق، كما يبين أن عهده تميز بالاستقرار وانتشار الأمن وانقطاع ذكر الدرقاويين، وعدّ له المؤلف خصوصية حسنة تتمثل في أنه "لا يقبل كلام أحد في أحد، ولا يخطئ أحدا من أهل البلد والمخزن خلاف ما كانت عليه الملوك الذين من قبله".[1]

وفي تناوله لخبر الباي حسن الأخير فإنه يثني على سبرته وسياسته الأولى قبل توليته على بايلك الغرب، إذ يذكر ما نصه: "المعروف بباهي حسن كان في أول أمره طباخا، وكان ذا عقل وافر، وسياسة ورأي ناجح ورياسة، فلما رآه الباي محمد الرقيق أخذ بمجامع قلبه، لحسن خلقه، وخلقه وأدبه، ومغفرته ورحمته، وظهر له أن لا يصلح لمصاهرته إلا هو".[2] ومن الوظائف التي تقلدها عند هذا الباي حسب مسلم بن عبد القادر فإنه ولاه قائد على فليتة وهذا الأخير كاتبا عليه ثم ولاه أيضا خلافة الشرق.

2-الثورة الدرقاوية:

يعد مسلم بن عبد القادر وكتابه أنيس الغريب والمسافر من المصادر التاريخية التي تناولت وفصلت الحديث عن أهم تمرد واجهته السلطة الحاكمة، وقامت بينهما عدة معارك جرت البلاد إلى فقدان الأمن وانعدام الاستقرار السياسي، حيث استطاعت الثورة الدرقاوية أن تجند عامة الناس في صفها مستغلة نقمة الرعية على المخزن.[3]

وابتدأ المؤلف في كلامه عن الدرقاويين بذكر أوصافهم ثم عرج عن سبب قيامهم بالثورة تحت قيادة ابن الشريف الدرقاوي، وفي هذا الشأن يورد ما نصه: "...وكانت عامة درقاوة تجتمع إليه، ويخرج بهم إلى الصحراء، فتتلقاه الاعراب بالفرح والسرور، حتى أخذت عنه جميعا الورد، وصارت كلها شيعته تهدي إليه الهدايا، وتعطي إليه العطايا، ويشكون إليه أضرار المخزن، وما هم فيه من أداء المغارم، فكان يعدهم بالفرح القريب، ويجمع ذلك الشيء، ويذهب إلى شيخه المذكور، ويقص عليه ما هم فيه خدامه

[1] مسلم بن عبد القادر: مصدر سابق، ص 107.

[2] نفسه: ص 113.

[3] رقية شارف: التاريخ والمؤرخون...، مرجع سابق، ص 175.

من إهانة المخزن إليهم، فيقول له: انصرهم والله ينصرك، فحصل له بذلك الطمع الكثير، مع نظره إلى اجتماع الغوغاء عليه، وهم جموع الاحرار وغيرهم الذين يشبهون صغار الجراد في الفساد، فالناس على غفلة حتى أصبح قائما معلنا بجهاد الترك والمخزن، محللا لدمائهم وأموالهم".[1]

كما توسع المؤلف في الحديث عن المعارك التي دارت بين المخزن والدرقاويين وذلك بذكره مكان وموقع المعركة وزمن وقوعها وتفاصيلها وتبعاتها على الطرفين، وكذلك تتبع الحديث عن الخسائر والفساد الذي مارسه المتمردين وألحق بالبايلك والقبائل الموالية للسلطة خسائر فادحة.

ومن ذلك ما دونه عن أول مواجهة قامت بين الباي مصطفى العجمي ومخزنه ضد الثائر ابن الشريف الدرقاوي وأتباعه في معركة فرطاسة، وكانت الغلبة فيها للدرقاويين فيذكرها على النحو التالي: "...إلى أن تلاقيا بفرطاسة موضع معروف بين وادي مينة وبين وادي العبد، ووقع الحرب بين الفريقين على الماء من وادي العبد عند قرب مصبه من وادي مينة، فتزاحفت لبعضها بعضا، وقام المخزن على ساق واحد فركب العدو في ظهره قتلا وأسرا إلى أم العساكر (معسكر)، وبقيت المحلة بما فيها في يد العدو، فأمسى الباي ومخزنه في نكد، وأصبح الدرقاوي وأتباعه في رغد".[2] وعن زمن وقوعها فيقول: "وكان ذلك اليوم يوم الأحد الثامن والله أعلم من ربيع الأول".[3]

وعن تبعات هذه المعركة على الطرفين فيذكر أن الباي قد تملكه الخوف مما لحق به من خسارة الحرب أمام الدرقاويين، فسعى إليه أعيان المخزن للتخفيف عنه وتهوين الأمر عليه، وأما ابن الشريف الدرقاوي فإن هذا الانتصار قد أكسبه إلتفاف الرعايا حوله ومن ثم عمد هؤلاء إلى إفساد الزرع والسطو على الموالين للمخزن بأخذ أموالهم وسبي أولادهم.

وحسب مسلم بن عبد القادر فإن فشل الباي مصطفى العجمي في إخماد الثورة الدرقاوية في مهدها كلفه العزل من منصبه وعينت السلطة الحاكمة بالجزائر مكانه الباي محمد المقلش، فلجأ إلى اعتماد سياسة مغايرة لسلفه اتجاه ابن الشريف الدرقاوي، الذي قام بحصار مدينة وهران وقطع الامدادات عنها، فاضطلع الباي محمد المقلش إلى فك الحصار عن المدينة ورجّح مخزن الباي كفة النصر لصالحهم بتشتيت قوات الدرقاوي ومطاردتهم أينما حلوا وارتحلوا.

[1] مسلم بن عبد القادر: أنيس الغريب والمسافر، مصدر سابق، ص 72.

[2] نفسه، ص 73.

[3] نفسه.

كما يلاحظ أن المؤلف أطال الحديث عن المعارك التي خاضها الباي محمد المقلش ضد جموع درقاوة والقبائل المساندة لها كبني عامر ومجاهر، إذ في معركة أولاد الزائر التي كان النصر فيها حليف المخزن يشير إليها بقوله: "وفرّ عسكر الأعراب وتبعه المخزن والعسكر بالقتل حتى أفناه عن آخره، إلا من كان عمره طويلا، وانهزمت الجيوش الدرقاوية".[1] كما أشار الكاتب أيضا إلى تحالف ابن الأحرش زعيم الثورة الدرقاوية ببايلك الشرق مع ابن الشريف الدرقاوي وخاضا معا معركة ضد قوات البايلك بنواحي غريس، تكللت بانتصار جند الباي وذاق فيها الدرقاويين طعم الهزيمة "فأخذت أموالهم، وسبيت نساؤهم، وماتت رجالهم، وذلوا من ذلك اليوم وفشل ريحهم".[2] بالإضافة إلى معركة جديرة وتافنة التي أفنيت فيها عامة درقاوة ولقي فيها ابن الاحرش حتفه.

وفي حكم الباي محمد بن عثمان الملقب بأبو كابوس فيذكر المؤلف بأنه اشتغل بقطع آثار الدرقاوي وابتدع بأتباعه قتل غير معهود، وصار ابن الشريف الدرقاوي منبوذا من طرف القبائل وما إن يحل عند إحداها إلا ويطاردونه، حتى استقر به المقام عند بني يزناسن وترك الفضول لعدم طاقته.[3]

وفي دولة الباي علي المعروف بقار بغلي فيشير مسلم بن عبد القادر بأن درقاوة انقطع ذكرها في أيامه، ثم يذكر أن ابن الشريف "خرج من موضعه بقرية بني سنوس ونزل عند الأحرار، وراودهم القيام على الباي فأنكره جلهم"، وعند سماع الباي بخبره وما هو عازم على القيام به، شن عليهم حملة عسكرية تفككت خلالها الثورة الدرقاوية وانحل نظامها، "وانتقل ابن الشريف إلى موضعه الأول وخمدت ناره وسكن ريحه".[4]

3-علاقة البايلك بمركز الحكم (دار السلطان):

ويتجلى هذا الموضوع في الاتصال الذي ربط بايلك الغرب بدار السلطان والمتمثل في تعيين البايات وعزلهم من طرف الدايات، وكذا محلة الدنوش[5] التي يقودها الباي كل ثلاث سنوات اتجاه الداي.

---

[1] مسلم بن عبد القادر: نفسه، ص 91.

[2] نفسه، ص 95.

[3] نفسه، ص 98.

[4] نفسه، ص 110.

[5] وهي ضريبة كان يدفعها مختلف شيوخ القبائل للباي أو الخليفة عندما يكون أحدهما متجها إلى الجزائر لتقديم دنوشه، وتعرف في بايلك الغرب باسم "باروك الدنوش" وتتكون من أموال وحياك وخيول وغيرها. أنظر: توفيق دحماني: النظام الضريبي ببايلك الغرب الجزائري أواخر العهد العثماني، مرجع سابق، ص 95.

بالإضافة إلى توجيه ديوان الجزائر البايات للقيام بحملة عسكرية اتجاه القبائل المتمردة والواقعة خارج نطاق بايلك الغرب مثل إرسال باشا الجزائر للباي محمد الرقيق المدعو بوكابوس لشن حملة على قبائل عريب.[1]

كما نلاحظ من خلال كتاب أنيس الغريب والمسافر أن العلاقة بين حكام الجزائر وبايات بايلك الغرب ساءت وتدهورت نتيجة عصيان الأوامر أو ارتكاب أخطاء أدت بالبايات إلى العزل من المنصب والقتل. ومن ذلك أن الباي محمد المقلش "عزله أهل الجزائر وأمروا به أن يقتل بأشد القتل، حتى ذاق أنواعا من العذاب، وذلك أنه سرح المحلة للجزائر كما هي عادتها القديمة، وقد عدم الدواب فأمر بحمل بعض الدوزان على بعض الأثوار فبلغ ذلك للباشا فأنف وأمر بعزله".[2] ونال الباي محمد بن عثمان المدعو أبو كابوس نفس المصير بعدما أعلن التمرد والعصيان على داي الجزائر، فبعث إليه هذا الأخير عمر آغا وقام باعتقاله والتنكيل بجثته. وكذلك لقي الباي علي قارة بغلي العزل من المنصب والقتل لاتهامه من طرف الداي علي بالتساهل في فرار الأتراك من أصحاب عمر باشا الذين قام الداي بنفيهم إلى وهران للتخلص منهم.

وفي نفس الصدد نجد أن حكام الجزائر عند تخلصهم من البايات وإعدامهم فإن عائلاتهم وحاشيتهم في بعض الأحيان يلقون نفس المصير أو يودعوا في السجن، وهذا ما أشار إليه المؤلف عن الباي محمد بن عثمان المدعو بوكابوس بقوله: "وبعثوه للجزائر يعلقوه بعد طويل زمان، وقتل أولاده وهم صبيان صغار، وقتل بعض خدامه، وصار بهم ما صار بالبرامكة مع العباسيين".[3] وأما الباي علي قارة بغلي فإنه لما قتل من طرف الداي علي، أمر هذا الأخير بسجن أولاده وتثقيف نسائه.[4]

وعرفت العلاقة بين البايلك ودار السلطان صلة وثيقة أثناء قيام ثورة درقاوة،[5] وتمثلت هذه الصلة في عملية أسر ثوار درقاوة وإرسالهم إلى الجزائر. ومن ذلك ما ذكره مسلم بن عبد القادر عن مصير أسرى الدرقاويين خلال حكم الباي محمد المقلش بقوله: "خرجوا بنساء الدرقاوي وأولاده، وقدموا بهم

[1] أنظر: مسلم بن عبد القادر: مصدر سابق، ص 99-101.

[2] نفسه، ص 96.

[3] نفسه، ص 105.

[4] نفسه، ص 112.

[5] رقية شارف: التاريخ والمؤرخون الجزائريون خلال العهد العثماني، مرجع سابق، ص 174.

على الباي في وهران، فأمر بركوبهم في البحر في شقف عينهم إليهم وبعثهم إلى الجزائر".[1] وذكر في موضع آخر أن الباي محمد المقلش قام في معركة أولاد الزائر ببعث ستمائة رأس مقطوعة للجزائر.[2]

4-حملة الانجليز على مدينة الجزائر:

تطرق مسلم بن عبد القادر في مؤلفه لأحداث وقعت خارج إقليم بايلك الغرب وتمثلت في حادثة هجوم الإنجليز على مدينة الجزائر وقصفها بالمدافع إلى ان انتهت الحرب بين الطرفين واتفقوا على تسريح الأسرى، ومما دوّنه بشأن هذه الحادثة ما نصه: "...وشرعوا في إطلاق المدافع على البلد، وكان ذلك الوقت العصر، فلم ينفصل الضرب، من بعضه بعضا، ولم يبطل وصار متسللا كرمية مدفع واحد إلى أن كملت عشر ساعات فبطل الضرب، وأقلع العدو عن البلد لما لحقه وناله من المجاهدين ثم بعد ذلك اصطلحوا على تسريح أساري الكافرين الذين بالجزائر ووهران فأعطاهم المسلمون كافة أسرارهم، حتى لم يبق منهم كافر واحد في بر الإسلام".[3]

-المبحث الثاني: صورة الواقع الاجتماعي:

1-الأوبئة والمجاعات:

من الأحداث والوقائع الهامة التي أرخ لها مسلم بن عبد القادر عند وقوعها زمن البايات هي تناول الأوضاع الصحية للمجتمع الجزائري وما تعرض له من أوبئة ومجاعات وانتشار الجراد، والتي شهدها بايلك الغرب وأودت بالعديد من الضحايا وأهلكت الحرث والنسل، وبالتالي أثرت على المجتمع بمختلف شرائحه ومكوناته وانعكست سلبا على النشاط الاقتصادي.

وأول هذه الأوبئة والمجاعات التي ذكرها مسلم بن عبد القادر في مؤلفه فهي التي وقعت في عهد الباي محمد الكبير ولخطورتهما توفى الكثير من الناس وفرّ منه الباي بأهله ومخزنه، إذ يقول في هذا الصدد: "في أول توليته مسقبة عظيمة، أهلكت فيها أمم كثيرة حتى أكلوا الميتة والدم، ولحوم بعضهم

[1] مسلم بن عبد القادر: نفسه، ص 79.

[2] نفسه، ص 91.

[3] نفسه، ص 108-109.

بعضا، وحدث في أيامه الطاعون الذي لم يحدث في هذا الإقليم قبل ذلك قط، مات به الجل من الناس، وخرج الباي بأهله ومخزنه فارا منه".[1]

وفي زمن الباي عثمان تكرر الطاعون ومات به العديد من الرعية وصحب هذا الطاعون حدوث جراد أهلك قوت الناس، وفي هذا المضمار يذكر الكاتب ما نصه:"عاد في أيامه الطاعون بهذا الوطن ومات به الجل من الناس، وحدث في أيامه جراد كثير مفسد الزرع والثمار غاية الافساد".[2] وتجددت حادثة انتشار الجراد خلال حكم الباي علي قارة بغلي حيث يشير لها المؤلف بقوله: "ظهر في أيامه جراد كثير غير معهود أفسد ما وجد وعمّ البلاد شرقا وغربا جوفا وقبلة".[3]

2-ذكره لوفاة العلماء بسبب الطاعون أو الحروب:

تطرق مسلم بن عبد القادر في أنيس الغريب والمسافر إلى وفاة العلماء والأدباء من جراء الأوبئة التي حلت ببايلك الغرب أو في الحروب التي دارت رحاها بين قوات البايلك ضد الدرقاويين أثناء تمردهم.

ومن ذلك ما ذكره المؤلف بشأن ضحايا الطاعون الذي وقع زمن الباي عثمان حيث يقول: "ومات الجل من الناس والعلماء كالعلامة الامام والفهامة الهمام الشيخ سيدي عبد القادر بن السنوسي بن دحو بن زرفة، وأخيه الفقيه الهاشمي وابن عمه الفقيه الألمعي الاريب صاحب فتح وهران السيد محمد المصطفى بن عبد الله وغيرهم".[4] وفي معركة فرطاسة التي وقعت بين الباي مصطفى العجمي وثوار درقاوة وذهب ضحية هذه المعركة حسب ما ذكره المؤلف "الاعيان من كتاب إنشاء الباي: الحاج أحمد بن هطال وأبو عبد الله محمد الغزلاوي".[5]

3-حرمة الضريح:

يحتل الضريح لقدسية ومكانة دينية هامة لدى السلطة العثمانية وسكان بايلك الغرب نظرا لما يعتقده مريدوه فيه من كرامات وعده من أولياء الله الصالحين، كما أنهم يعتقدون للضريح حرمة لا يجوز

[1] مسلم بن عبد القادر: مصدر سابق، ص 64.
[2] نفسه، ص 69.
[3] نفسه، ص 107.
[4] نفسه، ص 69.
[5] نفسه، ص 75.

فيها القتل والتعدي على الناس، ومن كان مطاردا فإن الضريح يعد المكان الآمن بالنسبة له. وهذا ما دونه مسلم بن عبد القادر عن الباي محمد المقلش في حربه مع الدرقاويين قرب قرية الولي الصالح سيدي محمد بن عودة بقوله: "ولا سلم في ذلك اليوم إلا من فر بنفسه في السابق، أو ألجئ إلى ضريح ذلك الولي الصالح، لأن الباي كان نبه عليه، وأوصى بحرمته".[1]

4-نزاع الكراغلة والعرب بتلمسان:

كتب مسلم بن عبد القادر عند حديثه عن معركة أولاد الزائر بين الباي محمد المقلش وجموع درقاوة أن الباي استاء من الفتنة الواقعة بين حضر تلمسان من الكراغلة والعرب، حيث يقول: "والباي في قلبه شيء كثير مما هم فيه القرغلان أهل تلمسان من ضيق الحال وعدم القوت والمال، والعدو لا يفارقهم بالغدو والآصال، وجواسيسهم تتعاقب على الباي باخبار النكال والوباء، وذلك أن الفتن واقعة بينهم وبين عرب البلد، وطالت واتصلت على الوالد والولد".[2]

وبعد انتصار الباي في هذه المعركة على جيوش درقاوة توجه إلى مدينة تلمسان للوقوف على أحوالها وإخماد فتنتها،[3] حيث كتب ما نصه: "وفي صبيحة غد ارتحل الباي قاصدا تلمسان، إلى أن وصلها ونزل بساحتها أتاه قائدها، وكبراء القرغلان وشكوا إليه جميع ما هم فيه مكايدة الأهوال ومقاساة الأحوال، والكل على باله، ومطرقا في مسمعه، فتكلم إليهم بكلام السياسة وخطاب الرئاسة .... ثم بعث لكبراء جماعته عرب البلد بعد ما أمنهم، أن يقدموا إليه، فأتاه منهم جماعة فجعل الخير بينهم وبين إخواهم القرغلان، وأوصاهم على بعضهم بعضا".[4]

5-ذكر المدن والمناطق والقبائل:

حفل كتاب أنيس الغريب والمسافر بذكر عدة مدن ومناطق وأودية والتي تقع ضمن حدود بايلك الغرب أو خارج نطاقها وكذا القبائل التي تقع ضمن مجالها. وأغلبها ذكر من طرف المؤلف للتعريف

[1] مسلم بن عبد القادر، نفسه، ص 85.

[2] نفسه، ص 87.

[3] بلبروات بن عتو: **أضواء حول مدينة تلمسان خلال العهد العثماني**، في: **مجلة الحوار المتوسطي**، مج 1، ع 1، جامعة جيلالي اليابس-سيدي بلعباس، 2009، ص 78.

[4] مسلم بن عبد القادر: نفسه، ص 92.

بالأماكن التي وقعت بها الأحداث والحروب الدائرة بين البايلك ومخزنه ضد الثورة الدرقاوية والقبائل المنضوية تحت لوائها.

فمن هذه المدن والمناطق والأودية نجد: وهران، الاغواط، الشلالة، عين ماضي، الجزائر، البليدة، قسنطينة، وادي العبد، وادي مينة، فرطاسة، معسكر، وادي سيق، الوادي المالح، تلمسان، بلاد البرجية، بلاد مجاهر، قرية سيدي محمد بن عودة، بلاد بنيارن، بلاد سليمان، بلاد أولاد الزائر، اليعقوبية، وادي الرمان، بلاد اغريس، جديرة وتافنة، بلاد فليتة، بلاد خلافة، وادي الشلف، وادي الخير، المدية، وادي دردر، بلاد الساحل، قرية أبي ترفاس، المغرب، تونس، وادي يلل، مازونة، ترارة، قرية بني سنوس، بلاد الأحرار، هبرة، مليانة.

وأما القبائل التي ورد ذكرها في الكتاب فهي قبائل المخزن المستوطنة بالقرب من وهران وتضم: الدوائر والزمالة والغرابة والبرجية والحشم،[1] وقبائل الرعية مثل: بنو عامر ومجاهر وهي تحت إشراف الباي،[2] وقبائل الاحرار التي تعد من القبائل المستقلة وتعيش حياة الترحال من منطقة إلى أخرى.[3] والجدير بالذكر أن بنو عامر ومجاهر كانت من القبائل المتحالفة والمنضوية تحت لواء الدرقاويين في حروبهم ضد المخزن، وأما الاحرار فإنها حاربت بجانب ثوار درقاوة لفترة ثم عندما خمدت هذه الثورة وتلاشى ذكرها تصالحت مع الباي علي قارة بغلي.

-المبحث الثالث: صورة الواقع الاقتصادي:

1-فساد الدرقاويين:

أشار المؤلف أثناء تناوله للحروب والمعارك التي دارت بين قوات البايلك والدرقاويين إلى الأضرار الاقتصادية التي خلفها هؤلاء وأنهم كثيرا ما يتعدون على المحاصيل ويفسدون الزرع والحرث، ففي بداية تمرد الدرقاويين زمن الباي مصطفى العجمي ذكر أنه: "ما من موضع تمر به تلك الجموع المفسدة إلا تركته أوحش من قفره، وأغبر من سجنه وكان ذلك الوقت وقت حصاد الزرع، فوفدت عليه وفود التحزب كلها مخافة على زرعه، فلم يغن عنهم ذلك".[4] وبالتالي فإنه على حسب قول المؤلف أن تلك

[1] مسلم بن عبد القادر: مصدر سابق، ص 80.

[2] كاميلية دغموش: السلطة والمجتمع في بايلك الغرب الجزائري، مرجع سابق، ص 243.

[3] نفسه، ص 254.

[4] مسلم بن عبد القادر: نفسه، ص 75.

الجموع جمعت في حرمها للمخزن والأتراك إفساد أراضيهم والسطو على منتوجهم الزراعي، وشاركهم في هذا قبائل بني عامر ومجاهر التي قامت باستيلائها على بلاد البرجية ونقلت زرعها من المطامير على حد قول المؤلف. وكذلك فعل الدرقاويين ببلاد اغريس قرب معسكر "حيث كانت بنجوعها وأولادها وأموالها، وجاسوا بلاد غريس، وأفسدوا زرعه، واحتطبوا جناته".[1]

2-غلاء الأسعار:

أفرد مسلم بن عبد القادر لغلاء الأسعار وانخفاضها إشارات طفيفة لا تتجاوز السطرين وعدها من الأحداث الهامة، حيث يذكر فترة الباي مصطفى العجمي الثانية بقوله: "ورد الباي مصطفى للملك للمرة الثانية، وأما الحوادث فأيامه كلها حوادث، ولا حادثة فوق الغلاء والفناء".[2] وفي خبره عن الباي حسن الأخير أورد ما نصه: "وقد قحط الورى قبل ولايته ولم يمطروا، ولما ولي أمطرهم الله، وخف بعض غلاء السعر".[3] كما اعتبر المؤلف أن من أسباب عزل الداي عمر باشا راجع إلى غلاء الأسعار على حد قوله: "قاموا على عمر باشا زاعمين أنه لم تسعد عليه الأيام والبلدان، لغلاء الأسعار بأيامه، وظهور الطاعون فيها، وقيام النصارى عليه".[4]

3-صرف العملة:

أشار مسلم بن عبد القادر في مؤلفه إلى عملية تغيير وزن العملة النقدية التي قام بها الداي علي خوجة[5] وذلك بقوله: "ولما استقر له ذلك غير صرف الدراهم، فالريال دورو وكان فيه خمسة عشر أوقية فصار فيه اثنا عشر، والريال الجزائري كان فيه ثمان أواق فصار فيه ستة إلى غير ذلك".[6]

---

[1] مسلم بن عبد القادر: مصدر سابق، ص 94.

[2] نفسه، ص 96.

[3] نفسه، ص 113.

[4] نفسه، ص 110-111.

[5] عبد الرحمن الجيلالي: تاريخ الجزائر العام، ج 3، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1994، ط 7، ص 328-329.

[6] مسلم بن عبد القادر: نفسه، ص 111.

-المبحث الرابع: الواقع الثقافي خلال القرن التاسع عشر

1-علاقة العلماء بالسلطة:

أورد مسلم بن عبد القادر في مؤلفه عبارات تضمنت صلة العلماء بالبايات والعلاقة التي ربطتهم ببعض، حيث نجد أن البايات سعوا إلى تقريب العلماء وضمهم إلى مجلس حكمهم وتوليتهم الوظائف الديوانية وكذا إستشارتهم في القضايا والنوازل التي تحل بهم.

ومن ذلك ما ذكره المؤلف أن الباي عثمان "كان لا يخلى مجلسه من الادباء والظرفاء ومن أجل ندمائه، وأظرفهم خلقا وخُلقا الفقيه النزيه البحر النبيه الجيلاني الخروبي القلعي".[1] وفي عهد الباي محمد المقلش وعند اشتداد الثورة الدرقاوية يقوم هذا الباي باستشارة أحد العلماء بشأن محاربة الدرقاويين حيث يقول: "فنادى لنديمه وصاحب سره. المطلع على نحسه وسعده. شبيه الحكيم اليوناني الأديب محمد الجيلاني. فلما أن حضر مجلسه. أخبره بجميع ما سمعه. فأشار عليه بمشاورة أعيان مخزنه، لأن الرأي هم أهله، والحرب هم صدوره".[2] كما ذكر مسلم بن عبد القادر أنه تولى وظيفة الكاتب عند الباي حسن آخر بايات وهران.[3]

ويعد زعيم الثورة الدرقاوية عبد القادر ابن الشريف نموذجا لسوء العلاقة بين العلماء والسلطة في كتاب أنيس الغريب والمسافر، ومن ذلك ما ذكره المؤلف بشأنه: "وكان رجلا عالما متفننا في جميع العلوم ورعا زاهدا، والناس يشيرون إليه بالصلاح لا غير إلى أن زغت به نفسه، وباع آخرته بدنياه.....، حتى أصبح قائما معلنا بجهاد الترك والمخزن، محللا لدمائهم وأموالهم".[4]

2-لمحة عن الإنتاج الثقافي:

أشار مسلم بن عبد القادر أن للحافظ العلامة أبو راس الناصر المعسكري تأليف حول حروب البايلك ضد الدرقاويين ومن والاهم من القبائل، حيث كتب ما نصه: "ان الباي جمع جمعه، وعول على الحركة بجاهر، طالبا لأخذ الثأر بدم العسكر الذي قتلوه في السابق لما أن تعرضوا للخليفة في أول

[1] مسلم بن عبد القادر، نفسه، ص 66.
[2] نفسه، ص 80-81.
[3] نفسه، ص 113.
[4] نفسه، ص 71-72.

قيام الدرقاوي، وتلقوه ببلادهم، وقتلوا العسكر ونهبوا المحلة، وهي قضية مشهورة أنظرها في المطولات إن شئت، ولا تجدها إلا عند أديب عصره وفريد وقته، يتيمة الغواص للمؤلف أبي عبد الله الحافظ أبي راس".[1] ويذكر الزياني هذا التأليف باسم "درء الشقاوة"،[2] وهي التسمية الأصح لكتاب أبي راس الناصر حيث ذكرها في مؤلفه فتح الإله ومنته تحت عنوان "در الشقاوة في حروب درقاوة"[3] وعند يحي بوعزيز "درء الشقاوة في حروب الترك مع درقاوة".[4]

[1] مسلم بن عبد القار: نفسه، ص 93-94.

[2] الزياني: دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران، مصدر سابق، ص 289.

[3] أبو راس الناصر: فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته، مصدر سابق، ص 180.

[4] يحي بوعزيز: أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، ج 2، دار الغرب الاسلامي، لبنان، 1995، ط 1، ص 240.

الفصل الثالث:

دراسة تحليلية للكتاب: الشكل والمضمون

-المبحث الأول: دراسة تحليلية للشكل

-المبحث الثاني: دراسة تحليلية للمضمون

-المبحث الثالث: مقارنة كتاب أنيس الغريب والمسافر مع الكتابات التاريخية المعاصرة له

-المبحث الأول: دراسة تحليلية للشكل:

1-منهج مسلم بن عبد القادر في كتاب أنيس الغريب والمسافر:

اعتمد مسلم بن عبد القادر في تأليفه لكتاب أنيس الغريب والمسافر على الطريقة التقليدية، أي دون خطة مفصلة بأبوابها وفصولها،[1] وإنما عنون الكتاب على حساب دولة كل باي والأحداث التي وقعت في عهده، وذلك وفق قوله "ولنرتب ذلك على ترتيب الدول".[2]

كما تقيّد في تأليفه بالتسلسل الزمني للأحداث وعرضها عرضا كرونولوجيا حسب فترة حكم كل باي، والتزم بالدقة في تناوله للأحداث،[3] وخاصة حروب البايات مع الدرقاويين التي تطرق لها بشكل واسع رغم تباين مواقفه من هذه الحرب وانحيازه للبايلك على حساب ثوار درقاوة ومن ذلك قوله: "نحن في مقابلتهم وبحول الله ونصرته نحارب كل واحد وحده، والنصر معنا لا علينا لأننا نريد الإصلاح، وهم يريدون الفساد، فكان الاتفاق على هذا الأمر".[4]

ولم يكتف المؤلف بعرض أخبار البايات والحوادث التي شهدها بايلك الغرب وإنما دعم المحقق رابح بونار الكتاب بأبيات شعرية تعود للمؤلف وتتضمن رأيه ومواقفه من الحكم العثماني، وذلك بتحميلهم مسؤولية ما حلّ بالبلاد من ضعف واحتلال واستيائه من ظلم البايات وكثرة جورهم وتعديهم على العلماء والرعية. إذ اتخذ المؤلف موقف ثنائي من حكم الأتراك العثمانيين بالجزائر، فمن جهة يصفهم بالشجاعة والصرامة في الحروب بقوله:

صناديد لولا الفساد في الورى لقلنا قل مثلهم فوق الثرى.

ومن جهة أخرى يحمّلهم أسباب ما آلت إليه البلاد من ضعف واحتلال بقوله:

فانشغلوا بالظلم ليس من عدل فأخذوا أخذ وبيلا بالمهل

---

[1] رقية شارف: الكتابات التاريخية الجزائرية الحديثة، مرجع سابق، ص 137.

[2] مسلم بن عبد القادر: مصدر سابق، ص 62.

[3] رقية شارف: التاريخ والمؤرخون الجزائريون خلال العهد العثماني...، مرجع سابق، ص 208.

[4] مسلم بن عبد القادر: نفسه، ص 82.

لما نسوا ما ذكروا به ختم على قلوبهم الله وانتقم.[1]

وعن ظلم الحكام وابتعادهم عن الحق ومجانبتهم للعدل فيلخصه في هذين البيتين:

أدبهم ربهم لمّا طغوا عرفهم بغدرهم لما بغوا

كأنهم ما كانوا في عز وما تملكوا دهرا طويل المنتهى.[2]

وفي موضع آخر نجده يتأسف على حالة الجزائر وما حلّ بها فقال يرثيها:

دعي عليك المزاح ونوحي على الإسلام وبالدمع فاصفحي

واحكي زمان الوصل قد تصرما وركنا من أركان الدين انهدما

قطر الجزائر به حلّ البلا فانحل عقد النظم منه وخلا.[3]

كما يتضح من خلال ما كتبه مسلم بن عبد القادر أنه إلتزم بوحدة الموضوع الأساسي والتركيز عليه،[4] دون الحشو والتكرار وكثرة الاستطرادات والخروج عن الموضوع، ويتجلى ذلك في قوله في مقدمة كتابه: "وهي خاتمة نذكر فيها ما تيسر لنا من أخبار الماضين في هذا القرن الذي نحن فيه، وحوادثه الخاصة والعامة".[5] وهو ما دونه في تأليفه والتزم به في معظم كتابه.

أما من حيث طريقة تفسيره للأحداث والأفكار فإنه التزم فيما سجله بالصراحة والصدق والجهر بالحق وإبداء رأيه تجاه القضايا المطروحة،[6] ونلحظ ذلك من خلال وقوفه على تدهور جهاز الحكم بباياك الغرب بعد حكم الباي محمد الكبير وكذا مناهضته للثورة الدرقاوية وسوء تصرف بعض البايات كتمرد الباي محمد بن عثمان المدعو بوكابوس على السلطة العثمانية بالجزائر.

كما اعتمد المؤلف على التفسير الديني للأحداث التي تناولها، ونجد ذلك في قوله بأن الزلزال الذي ضرب مدينة وهران سنة 1791م هو السبب في فتحها من طرف الباي محمد الكبير، وهو بذلك

[1] مسلم بن عبد القادر: مصدر سابق، ص 47. –رقية شارف: الكتابات التاريخية...، مرجع سابق، ص 111.

[2] مسلم بن عبد القادر: نفسه، ص 34. –ناصر الدين سعيدوني: من التراث التاريخي...، مرجع سابق، ص 472.

[3] نفسه: ص 35. –سعيدوني: نفسه، ص 472.

[4] رقية شارف: الكتابات التاريخية...، نفسه، ص 139.

[5] مسلم بن عبد القادر: نفسه، ص 61.

[6] ناصر الدين سعيدوني: من التراث التاريخي والجغرافي...، نفسه، ص 472. –رقية شارف: نفسه، ص 143.

يوافق ما ذهب إليه مؤرخي فتح وهران كإبن سحنون في الثغر الجماني وابن زرفة في الرحلة القمرية،[1] واستند كذلك للتفسير الديني عند تطرقه لسبب قيام الثورة الدرقاوية واتخاذه الدافع الديني عاملا من عوامل تمرد وعصيان الدرقاويين للسلطة العثمانية وحلفائها.

وانصرف مسلم بن عبد القادر عن التدقيق والتمحيص في بعض التواريخ والأخبار، إذ نجده يصنف الباي محمد الكبير صاحب فتح وهران كأول من ولّي على بايلك الغرب من العائلة العثمانية، ويتدارك محمد بن يوسف الزياني خطأه بقوله: "فهو ثاني ملوك العثمانية خلافا لما في أنيس الغريب والمسافر من أنه هو أولهم وتلك القولة غير جالية".[2] كما نجده يعقب على مدة بقاء الباي محمد الكبير في الحكم ويذكر بأن مسلم بن عبد القادر وقع منه سهو شديد في تحديده بقاء الباي بالمملكة بنحو ثمانية عشر سنة، إذ يصوب ما وقع منه بقوله: "والصحيح أنه بقي في المملكة عشرين سنة، لما قد علمت أنه تولى سنة (1192هـ) كما مر وتوفي سنة (1213هـ)، وبينهما عشرون".[3]

كما أن مسلم بن عبد القادر استحضر الشعر لتدعيم الخبر التاريخي،[4] حيث استعان في تأريخه للحروب وتدوينه لأحداث بايلك الغرب وأخبار باياتها بالشعر والأمثال والحكم وتوظيفها لأغراض تاريخية، ومن ذلك قصيدة المؤلف عن معركة فرطاسة التي يقول فيها:

فيوم فرطاسة يوم كبير ذل فيه العزيز وعز الحقير

لقد هيا مصطفى جيشا كثير تركا ومخزن الملك الكبير

فلم تكن ساعة وانهزموا من جيش هياه الفقير[5]

وفي معركة أولاد الزائر التي جمعت قوات البايلك ضد الدرقاويين وانتهت بانتصار جند الباي محمد المقلش، يوظف الكاتب الشعر لوصف المعركة عند تلاحم الجيشين ويتوعد الدرقاويين بالمنية، ومن ذلك قوله:

[1] رقية شارف: الكتابات التاريخية...، مرجع سابق، ص 141-142.

[2] محمد بن يوسف الزياني: دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران، مصدر سابق، ص 261.

[3] نفسه، ص 268.

[4] رقية شارف: التاريخ والمؤرخون...، مرجع سابق، ص 208.

[5] مسلم بن عبد القادر: مصدر سابق، ص 76.

أيا عسكر الأعراب غررتم بجمعكم فسوف تروا ماذا بجيشكم يصير

فالموت ها هي تأتي إليكم عن عجل من قوم عاتية منها الرؤوس تطير.[1]

كما نجده يوظف الشعر لغرض المدح أو الذم، ففي الثناء فإنه مدح أحد العلماء ومستشاري الباي عثمان وهو الجيلاني الخروبي القلعي وكذا شخصية من مخزن البايلك وهو القائد قدور بن إسماعيل. وأما الذم فإنه يقبح الرأي الفاسد للباي محمد بن عثمان المدعو بوكابوس الذي أعلن العصيان والتمرد على ديوان الجزائر، وانجر عنه إعدامه مع أهله وبعض خدامه حيث يقول:

ظننت برأيك أنه صلاح كلا لا والله ذلك الفساد[2]

وأما عن الأمثال والحكم التي تضمنها تأليفه والذي يعد أساسا للواقع الثقافي وروح العصر الذي عاشه،[3] نذكر قوله: "الأدب سلاح زمان الكفاح"، "التقوى زاد ماله نفاذ"، "الغفلة بحر ماله قعر"، "قف مع الخلق ولا تخش الخلق"، "لا تصحب الجهال كي لا تكون ذا إهمال".[4]

كما أورد المؤلف حديثا حول مشاورة الباي محمد المقلش لبعض رجال دولته حول حرب الدرقاويين من عدمه تضمنت بعض الحكم ومنه قوله: "ان هذا الأمر ليهولنك وما جئنا إلا لنلقي ما لا نحبه، والصبر مفتاح الفرج، ومن يريد العسل يصبر لجني النحل ومن طلب المعالي سهر الليالي...".[5] وهي في مجملها لغة ركيكة تعكس صورة الواقع الثقافي للعصر.

2-أسلوب مسلم بن عبد القادر في كتاب أنيس الغريب والمسافر:

اتسم أسلوب مسلم بن عبد القادر في تدوينه لكتابه بغلبة الأسلوب الأدبي الذي جاء على شكل نثر وشعر وأمثال وحكم،[6] وكتب بأسلوب بسيط تكثر فيه المفردات العامية والأخطاء النحوية والصرفية

[1] مسلم بن عبد القادر: مصدر سابق، ص 90.

[2] نفسه، ص 105.

[3] رقية شارف: الكتابات التاريخية الجزائرية الحديثة، مرجع سابق، ص 121.

[4] مسلم بن عبد القادر: نفسه، ص 39-40.

[5] نفسه، ص 81.

[6] نفسه، ص 212.

المتعددة، والتي تعكس روح العصر والمستوى الثقافي السائد آنذاك والمتمثل في شيوع ظاهرة الضعف العلمي والأدبي في القطر الجزائري.[1]

واستند المؤلف في ذكره للتواريخ على استعمال التاريخ الهجري موافقا بالتاريخ الميلادي. كما لا يخلو مؤلفه من الاستعانة بألفاظ وتعابير دينية كالعدو التي يطلقها على الثورة الدرقاوية والمبايعة والجهاد والنصر، وينعت الانجليز أثناء هجومهم على مدينة الجزائر بالكفرة، وهذا إن دل على شيء إنما يدل على طغيان العاطفة الدينية على التعبير.[2]

واستعان كذلك مسلم بن عبد القادر في تأريخه لأحداث الناحية الغربية من إيالة الجزائر على توظيف ألفاظ وكلمات عامية دارجة بدل الفصحى ولا يهتم بصحة عباراته في كثير من المواضع،[3] حيث تكثر فيها الأخطاء النحوية والصرفية ولا تؤدي المعنى المراد بها في سياق الكلام، ومن هذه العبارات نذكر: مسقبة (والأصل مسغبة أي مجاعة)، ليتجانب (بدلا من يتحاسب)، يتلبسون ببعض التحيات، يجتمعون في الحلائق، يتظهرون الزهد، ثم أصبح فلاهما (أي بدوهما)، واتصف بالمزية، وكانت للبلد خمسة أبواب كلها مغلوقة (والصواب مغلقة)، وقطعوا الاياس من فتح البلد، مغلوق، قائلين إليه، عينهم إليهم، خرج حاركا، ندوخهم، واهزموا مجاهر، طل المخزن، وفشل ريحهم، الدوزان، وكان مسرار، وصار يروي، وحملت الأنهار، فاجع الفراغة، اتقاء المعالك، وهدوها، جوفا وقبلة (يقصد الشمال والجنوب)، عين الشمنارير.

بالإضافة إلى ما في الأبيات الشعرية التي ذكرها في كتابه من مفردات عامية التعبير، فهو رديء لا يكاد يقرأ لاختلال إعرابه وأوزانه.[4]

كما لا يخلو مؤلف أنيس الغريب والمسافر من استعمال مصطلحات ذات دلالة وإشارة للسلطة الحاكمة أو التركيبة الاجتماعية.[5] فعبر عن السلطة الحاكمة بالمصطلحات التالية: المملكة، الملك، المخزن، الباي، الخزائن، الجيش، أداء المغارم أو الجزية، المحلة، الوطن، البلد، الحرب، دولة، الباشا، ديوان

[1] مسلم بن عبد القادر: نفسه، ص 48.

[2] رقية شارف: الكتابات التاريخية الجزائرية الحديثة، مرجع سابق، ص 153.

[3] انظر: هامش رقم (5) من كتاب أنيس الغريب والمسافر، مصدر سابق، ص 64.

[4] مسلم بن عبد القادر: نفسه، ص 38. –رقية شارف: التاريخ والمؤرخون...، مرجع سابق، ص 216.

[5] رقية شارف: نفسه، ص 222.

أهل الجزائر، الدنوش. أما المصطلحات ذات الصلة بالمجتمع فيذكرها على النحو التالي: الاعراب (أي سكان الريف)، الرعايا، المسغبة، الطاعون، الزلزال، القبائل، أهل البادية، أهل البلد، وفود المخزن، القرغلان.

3-المصادر التي اعتمد عليها:

استقى مسلم بن عبد القادر مادته التاريخية من أحداث يكون قد شاهدها أو سمع بها أو تعرف عليها عن قرب أو اطلع على تفاصيلها ممن عاشها،[1] وهذا ما أورده في مقدمة تأليفه بقوله: "وهي خاتمة نذكر فيها ما تيسر لنا من أخبار الماضين في هذا القرن الذي نحن فيه، وحوادثه الخاصة والعامة المشاهدة بالعيان، والمطرقة في الآذان...".[2]

وبذلك فإن المؤلف اعتمد في مصادره على المشاهدة والرواية الشفهية، حيث يشير لمعاينته للأحداث أو نقلها ممن عايشها أو سمع بها وخاصة حروب درقاوة مع السلطة العثمانية بقوله: "لقد رأيت"، "يحكي من حضر"، "أخبرني من حضر". وعن هجوم الانجليز على مدينة الجزائر يذكر الحادثة بصيغة "تواتر الخبر". وفي تناوله لخبر الباي حسن الأخير يذكر معلوماته عنه اعتمادا على معرفته الشخصية واحتكاكه به أثناء اشتغاله كاتبا لديه.

كما اقتبس مسلم بن عبد القادر أخبار وحوادث بايلك الغرب من مصادر لا يصرح بها أصلا حسبما تدل عليه عبارة "انتهى باختصار".[3] وفي ذكره لحروب البايات مع الدرقاويين أو بعض حوادث البايات فإنه يبتدئ الخبر بقوله: "قال مؤلفه –عفا الله عنه–، أو رضي عنه، أو –رحمه الله–" وهي إشارة توحي إلى نقله لأخبار وأحداث من مراجع معينة.

وبحكم تولي المؤلف لوظيفة الكتابة المخزنية وصلته الوثيقة بجهاز الحكم لبايلك الغرب فإنه لا يشير فيما دوّنه في كتابه اعتماده على الوثائق الرسمية من رسائل وفرمانات تولية وتقارير ذات صلة بأخبار

[1] ناصر الدين سعيدوني: من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي، مرجع سابق، ص 472.

[2] مسلم بن عبد القادر: مصدر سابق، ص 61-62.

[3] مسلم بن عبد القادر: نفسه، ص 69. –رقية شارف: الكتابات التاريخية...، مرجع سابق، ص 159.

وحوادث بايلك الغرب والبايات، رغم ما تقدمه هذه الوثائق من حقائق دقيقة كونها صادرة أو قريبة من أماكن صنع القرار.[1]

-المبحث الثاني: دراسة تحليلية للمضمون:

1-دوافع تأليف الكتاب:

لم يذكر مسلم بن عبد القادر في مقدمة تأليفه الدافع أو المناسبة التي كتب من أجلها خاتمة أنيس الغريب والمسافر بصريح العبارة، على خلاف المصادر التاريخية التي ألفت في أواخر العهد العثماني (نهاية القرن 18م وبداية القرن 19م)، حيث صرح مؤلفي هذه المصادر في مقدمة تأليفهم بظروف ودوافع الكتابة والتي اشتركت بكونها ظرفية أي للمناسبة والحدث.[2]

وعليه نستخلص أن الدافع لتأليف الكتاب عند مسلم بن عبد القادر هو دافع ذاتي، وذلك نظرا لاستعماله لمفردات بصيغة ضمير المتكلمين "نحن" وردت في مستهل كتابه مثل قوله: "وهي خاتمة نذكر فيها ما تيسر لنا من أخبار الماضين" وكذلك "ولنرتب ذلك على ترتيب الدول".[3]

كما يشير المؤلف إلى دافع آخر لتأليف الكتاب ويتمثل في تأريخ وتخليد الأخبار والأحداث الخاصة والعامة لبايلك الغرب، كذكره لتاريخ بايات الناحية الغربية والحوادث التي وقعت في عهدهم من حروب وأوبئة ومجاعات، إذ يذكر في هذا الصدد ما ورد في مقدمة تأليفه: "وهي خاتمة نذكر فيها ما تيسر لنا من أخبار الماضين في هذا القرن الذي نحن فيه، وحوادثه الخاصة والعامة المشاهدة بالعيان، والمطرقة في الآذان والحوادث لا تتناهى بأصل، ولا تنحصر بعدد، فالخاصة منها هي ما تختص بأحد معين، كمثل عزل بعض الملوك بالسخط، وتحبيس دورهم، وأخذ أموالهم، إلى غير ذلك، والعامة هي ما تعم جميع الناس، مثل المسقبة وحدوث الطاعون وقيام بعض الناس العامة فتنتهم على الإقليم، وقيام الكفرة...".[4]

[1] رقية شارف: التاريخ والمؤرخون...، مرجع سابق، ص 229.

[2] رقية شارف: الكتابات التاريخية الجزائرية الحديثة، مرجع سابق، ص 167.

[3] مسلم بن عبد القادر: أنيس الغريب والمسافر، مصدر سابق، ص 61-62.

[4] نفسه.

وفي نفس السياق نجد أن المؤلف لا يولي كثير اهتمام بمناسبتين مهمتين في تاريخ بايلك الغرب وإيالة الجزائر العثمانية ولا يتخذهما كدافع لتأليف الكتاب وهما حادثتي فتح وهران من طرف الباي محمد الكبير والاحتلال الفرنسي للجزائر، فالأولى أشار إليها بقوله: "وفتح مدينة وهران التي أعيت جميع الملوك وردها إلى دار اسلام"[1] والثانية ذكرها بقوله: "وفي عام 1246هـ/1830م أخذ الروم الجزائر ووهران".[2]

2-المنظور الفكري للمؤلَف:

ألف مسلم بن عبد القادر كتابه من وجهة نظر قربه من السلطة العثمانية وكذا وظيفته ومكانته العلمية والثقافية في بايلك الغرب كرجل دولة وقلم. إذ لم يوظف المؤلف مصطلح الثورة عند حديثة عن الثورة الدرقاوية بل ينعتهم بالعدو، ويعترف بسلاطين المغرب الأقصى أثناء حديثه عن تمرد وعصيان الباي محمد بن عثمان المدعو بوكابوس لحكام الجزائر ومبايعته لسلطان المغرب من خلال قوله: "والدخول في ديوان مولاي سليمان سلطان المغرب وتحويل البيعة إليه"،[3] ويذكر كذلك خلافة المولى عبد الرحمن للملك سليمان بقوله: "وفي عام 1238هـ/1822م تولى مولانا عبد الرحمن سلطنة المغرب بتسليم مولانا سليمان له ذلك"،[4] وعند وقوع الاحتلال لم يخف استياءه من السلطة العثمانية ويحملها مسؤولية ما آلت إليه الأوضاع.[5]

3-الحقيقة التاريخية في كتاب أنيس الغريب والمسافر:

يتفق مسلم بن عبد القادر مع المصادر المحلية لبايلك الغرب في جملة من الوقائع والأحداث والتواريخ ويختلف معها في أخرى، ومن ذلك فإنه يذهب إلى اعتبار تاريخ فتح وهران تمّ في شهر رجب سنة 1206هـ/1791م وبذلك فإنه يوافق ما ذهبت إليه المصادر المعاصرة للحدث كأبو راس الناصر في عجائب الاسفار الذي يذكر ما نصه: "دخول المسلمين لوهران كان ضحى يوم الإثنين الخامس من

[1] مسلم بن عبد القادر: نفسه، ص 63.
[2] نفسه، ص 109.
[3] نفسه، ص 103-104.
[4] نفسه، ص 109.
[5] رقية شارف: التاريخ والمؤرخون...، مرجع سابق، ص 240-241.

رجب وقد وافق ذلك اليوم الأول من الربيع سنة ست بعد مائتين وألف"،[1] ونفس التاريخ نجده عند الزياني الذي يعد مؤلفه من المصادر المتأخرة نوعا ما عن الحدث حيث يذكر: "إلى أن فتحها صبيحة الإثنين خامس رجب سنة ست من القرن الثالث عشر".[2]

كما نجده يعتبر أن الزلزال الذي وقع في زمن الباي محمد الكبير من أسباب فتح مدينة وهران ويطابق رأيه هذا ما ذهب إليه ابن سحنون الراشدي عند قوله: "أتاه وأظهر له أكبر الأسباب المنبهة لفتحها الداعية إليه، وذلك أنه زلزل بالكفار بلادهم زلزلة عظيمة"،[3] غير أن الباحثة رقية شارف تعتبر قضية الزلزال عامل من عوامل الفتح التي شجعت على الاستمرار في الفتح وليس سببا بدليل أن استعدادات الباي للفتح سبقت هذه الحادثة.[4]

وكذلك حظيت الأوبئة والمجاعات والكوارث الطبيعية التي ذكرها في مؤلفه وذهب ضحيتها الكثير من الناس بالصحة والأمانة وتداولتها الكتابات التاريخية التي جاءت من بعده كالزياني في دليل الحيران والمزاري في طلوع سعد السعود.

وتعد الثورة الدرقاوية من أهم المواضيع التي أرخ لها مسلم بن عبد القادر ونالت القسط الوافر من مؤلفه وتناقلتها الكتابات المحلية والأجنبية عنه، وبذلك يعد مصدر لا يمكن الاستغناء عنه في تأريخه لهذه الثورة لما تحظى به من صدق وموضوعية في العرض والتفسير.

وأول ما توافق من هذه الأحداث التي تناولها بشأن هذه الثورة مع المصادر المعاصرة له هو قضية سبب قيام الثورة الدرقاوية والشخص الذي يقف من ورائها، حيث تجمع المصادر التاريخية كدر الأعيان في أخبار مدينة وهران لحسن خوجة ودليل الحيران للزياني على أن خلفياتها دينية وقائدها هو عبد القادر بن الشريف، وسبب قيامه بالثورة يرجع إلى استغلاله لنقمة الرعية على الحكم العثماني وما هم فيه من ظلم وكثرة الضرائب التي أثقلت كاهلهم.

---

[1] أبو راس الناصر: عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، ج 2، مصدر سابق، ص 176-177.

[2] محمد بن يوسف الزياني: دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران، مصدر سابق، ص 261.

[3] ابن سحنون الراشدي: الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، مصدر سابق، ص 213.

[4] رقية شارف: الكتابات التاريخية الجزائرية الحديثة، مرجع سابق، ص 183.

ومن المواضيع التي تطابقت معلوماتها فيما ذكره صاحب أنيس الغريب والمسافر مع المؤلفات التاريخية هي موضوع القبائل وعلاقتها بالسلطة،[1] حيث نجد أن المؤلف تطرق لالتفاف القبائل الناقمة على السلطة حول الثورة الدرقاوية، ومن أهم هذه القبائل بنو عامر التي كانت متعاملة مع الاسبان،[2] في حين هناك قبائل المخزن التي ناصرت الحكم العثماني وحاربت إلى جانب البايلك في معاركه ضد الدرقاويين كالدواير والزمالة والبرجية والغرابة.[3]

بالإضافة إلى توافق رواية مسلم بن عبد القادر في قضية تمرد الباي محمد بن عثمان المدعو بوكابوس مع رواية أحمد الشريف الزهار في مذكراته وكذا الزياني في دليل الحيران والمزاري في طلوع سعد السعود. وكذلك نجده يتفق مع المصادر المحلية التي أرخت لبايلك الغرب على انحراف سياسة البايات الأواخر وحملهم مسؤولية تردي الأوضاع.[4]

أما ما اختلف فيه مسلم بن عبد القادر مع غيره من المؤرخين كمحمد بن يوسف الزياني في دليل الحيران فإنها لا تعدو أن تكون في بعض التواريخ مثلما ذكرنا سابقا حين صحح له الأخطاء التي وقع فيها بشأن الباي محمد الكبير كاعتباره أول من ملك من العائلة العثمانية وكذا المدة الزمنية التي بقي فيها على رأس بايلك الغرب.

-المبحث الثالث: مقارنة كتاب أنيس الغريب والمسافر مع الكتابات التاريخية المعاصرة له:

1-مع الكتابات التاريخية الجزائرية:

-من أهم المؤلفات التي يجب أن يقارن بها ما كتبه مسلم بن عبد القادر في أنيس الغريب والمسافر هو التأليف المعنون بدرّ الأعيان في أخبار مدينة وهران لمؤلفه حسين خوجة، ويعتبر كتابه هذا في حكم المفقود بعد أن استفاد منه الفرنسيون في أبحاثهم عن وهران.[5] وأما الدافع لتأليفه الكتاب حسب المؤرخ

---

[1] رقية شارف: التاريخ والمؤرخون...، مرجع سابق، ص 248.

[2] نفسه، ص 249.

[3] مسلم بن عبد القادر: أنيس الغريب والمسافر، مصدر سابق، ص 80.

[4] رقية شارف: التاريخ والمؤرخون...، نفسه، ص 252.

[5] فارس كعوان: المؤرخون الجزائريون ونمو الوعي التاريخي 1830-1962 مساهمة في التاريخ الثقافي والفكري، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم في التاريخ المعاصر، قسم التاريخ والآثار، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة منتوري قسنطينة، 2011-2012، ص 275.

أبو القاسم سعد الله قد يكون بطلب أحد الفرنسيين أو من وحي ظروف الاحتلال بعد أن توقف عن نشاطه الإداري ولازم بيته، إذ عرف عنه مباشرته لوظيفة الكتابة المخزنية قبل تقلد مسلم بن عبد القادر لنفس المنصب.[1]

وقد أكثر كل من محمد بن يوسف الزياني وابن عودة المزاري من النقل عن حسين خوجة في مؤلفيهما، وعند المقارنة بين هذه النصوص التي كتبها صاحب در الأعيان وما كتبه مسلم بن عبد القادر في مؤلفه نجد تشابه كبير في كل ما كتب إلى حد الجزم بأن أحدهما قد نقل عن الآخر، وهذا ما رجحه الباحث فارس كعوان عند قوله أن مسلم بن عبد القادر قد اقتبس نصوصا كثيرة من كتاب در الأعيان كما فعل المازري مع كتاب الزياني.[2]

ويذكر الباحث فارس كعوان أثناء إطلاعه على المخطوط الموجود بالمكتبة الوطنية بالجزائر والذي يحمل رقم 1634 [3] ومفهرس باسم تاريخ بايات وهران لحسان (كذا) خوجة أن في ورقته الثانية ما نصه: "الخاتمة في ذكر ما تيسر لنا بعون الله من أخبار بعض سني هذا القرن الثالث عشر وبعض شيء مما قبله وذكر حوادث بدت به خاصة وعامة شوهدت بالعيان وطرقت أسماعها بالآذان...."."[4] وهذا الكلام وغيره من الجمل يتماثل مع ما أورده مسلم بن عبد القادر في تأليفه.

وذكر الزياني أن حسين خوجة وافق مسلم بن عبد القادر في قوله أن الباي محمد الكبير مكث في حكمه لبايلك الغرب مدة ثماني عشرة سنة.[5] ونقل عنه كذلك خبر المسغبة والطاعون الذي حدث في أول عهده فقال: "وحدث بأول مملكته بالمعسكر مسغبة عظيمة، هلك بها أناس كثيرون، إلى أن أكلت فيها الميتة والدم ولحم الانسان والخنزير، والعياذ بالله من ذلك، ثم حدث الطاعون الذي لم يحدث في هذا الإقليم قبله قط، فمات به جل الناس بدوا وحضرا..."."[6]

[1] أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج 7، مرجع سابق، ص 359.

[2] فارس كعوان: مرجع سابق، ص 278.

[3] أنظر ملحق رقم 03.

[4] فارس كعوان: نفسه، ص 274-275.

[5] الزياني: دليل الحيران...، مصدر سابق، ص 268.

[6] نفسه، ص 269.

كما نقل عنه أحداث الثورة الدرقاوية وتفاصيلها، إذ أشار أن الهزيمة التي حلت بالباي مصطفى العجمي ومخزنه في معركة فرطاسة وقعت في: "يوم الأحد ثامن ربيع الأول سنة 1219هـ" وقال: "ثم أن الدرقاوي لما استولى على المحلة، وعز جانبه، كتب للرعايا بالبشائر يقول لهم: قد عنك نزعنا مظلم الترك، والذل والمسكنة، والمغارم والمكوس، فالواجب عليكم مبايعتنا..."[1]

ونفس الحديث الذي أورده مسلم في كتابه عن معاينته لضحايا الدرقاويين ينقله لنا الزياني عن صاحب در الأعيان حيث يقول: "ولقد رأيت الجندي يأتي بثلاثة رؤوس أو أربعة ويضعها بين يدي الباي كما يضع البصل في الإهانة"[2]

وفي تطرقه لحكم الباي حسن ينقل الزياني عن حسين خوجة أوصاف الباي كما وردت بنفس العبارة عند مسلم بن عبد القادر حيث يذكر ما نصه: "وكان ذا عقل وافر وسياسة ورأي ناجح ورياسة، ولما رآه الباي محمد الرقيق على تلك الحالة شغف بحبه، إلى أن أخذ بمجامع قلبه، لحسن خلقه وخُلقه وأدبه ومعرفته، وعفوه ومغفرته ورحمته..."، كما أشار الزياني أن حسين خوجة تولّى وظيفة الكاتب عند الباي حسن مثلما نجد ذلك عند مسلم.[3]

والقصيدة التي أوردها صاحب أنيس الغريب والمسافر في آخر كتابه والتي يمدح فيها الباي حسن وينسبها لنفسه نجدها بحذافيرها عند الزياني الذي نقلها بدوره عن حسين خوجة، حيث يقول:

"قال السيد حسن خوجة التركي في درّ الأعيان: وكذلك قلت هذه الأبيات والله يقول الحق وهو يهدي السبيل، وهو حسبي ونعم الوكيل وهي من الطويل:

أيا معشر الإسلام دام سروركم بدولة من في الناس دولته ترضى

أمير أتانا بعد ما قحط الورى فأمطرنا رب العباد به أرضا...."[4]

وفي هذه الحالة فإن هذه النصوص تثبت ما ذهب إليه الباحث فارس كعوان بأن مسلم بن عبد القادر اقتبس مادة كتابه من مؤلف حسين خوجة دون أن يشير إلى ذلك.

---

[1] الزياني: دليل الحيران...، نفسه، ص 274.

[2] نفسه، ص 284.

[3] نفسه، ص 309-310. –مسلم بن عبد القادر: مصدر سابق، ص 113.

[4] أنظر: مسلم بن عبد القادر: نفسه، ص 113-114. –الزياني: نفسه، ص 310-311.

-أما الزياني فإنه يعزو تمرد الدرقاويين على الحكم العثماني بالجزائر إلى أسباب دينية بحتة تتمثل في إنكار عبد القادر ابن الشريف الدرقاوي على العثمانيين عملهم بالشريعة الإسلامية، إضافة إلى مؤاخذته الأتراك على ظلمهم وتعديهم على العلماء والرعية، وقد ذكر الزياني بأن ابن الشريف كان يتردد على شيخه العربي الدرقاوي بالمغرب ليستأذنه في محاربة السلطة العثمانية وخاطبه بقوله: "يا سيدي إن بوطننا قوما يقال لهم الترك، لا شيء لهم من دعائم الإسلام، ويظلمون الناس، ولا يعبؤون بالعلماء والأولياء، نسأل منك أن يكون هلاكهم على يدي، لتستريح منهم العباد، وتطهر منهم البلاد، فقال له: عليك بجهادهم وقتالهم، وإن الله ينصرك عليهم بكمالهم، فظن أن تلك القولة هي عين النصرة، وأنه أدرك لا محالة فخره".[1]

وأثناء حديث مسلم بن عبد القادر عن زيارة العربي الدرقاوي للثائر ابن الشريف الدرقاوي بوهران لم يبين المؤلف الموقف الجلي للشيخ من مريده وما دار بينهما من كلام، حيث أشار لهذا الحادث بعبارة غامضة يقول فيها: "إلى أن قدم إليه شيخه من المغرب، وحضر الحرب مع الجيش، ورأى بعينه ما يسر فذهب إلى حال سبيله".[2]

وهذه الحادثة أوردها الزياني بشيء من التفصيل في مؤلفه عندما نقل حديثا عن أحد أبناء قياد الغرابة الذي كان والده معاصرا لتمرد ابن الشريف ضد الأتراك أنه قال: "ولما جاء شيخه، تزاحمت الناس على لقائه، وفرحوا بالظفر والاستيلاء على وهران، ولما نزل قال لهم: عليكم بالفيسان وغيرها لتخريب وهران غدا، ولما بات سمع الآذان واعتكاف الناس على العبادة في المدينة، ورأى جيوش ابن الشريف فيها فساد كثير، قال له سيدي عبد القادر بن الشريف: إنك قلت لي: إن الترك ومن تبعهم نصارى ولا يصومون، ولا يصلون وليس لهم من الدعائم الشرعية شيئا، وسألت مني الإذن في جهادهم فأذنت لك، وإني لما رأيتهم وجدتهم أشد إيمانا وعبادة مني ومنك وأتباعك، وإن أتباعك هم المفسدون في الأرض، فلا شك أن الجهاد فيك وفي قومك جائر، لا في أهل وهران....".[3]

كما نقل لنا الزياني أخبار الباي حسن التي لم يذكرها مسلم بن عبد القادر في مؤلفه، والتي تتمثل في سوء سياسته وتصرفه تجاه العلماء والمتصوفة والعامة، إذ ذكر ما نصه: "ولما استوثق له الملك وأذعنت

[1] الزياني: نفسه، ص 272.

[2] مسلم بن عبد القادر: نفسه، ص 77.

[3] الزياني: نفسه، ص 278.

له الرعية رفض ما كان عليه من الوصف السابق وكثر ظلمه وغضبه، وبغضه وعبثه بالرعية" ويقول كذلك: "ثم كثر عبث هذا الباي وظلمه وتعديه، واجتراؤه على العلماء والأولياء والرعية بغاية تعديه، وبان منه الظلم والتعدي، وكثر منه الضلال والتردي، فأكثر من سفك الدماء في العباد، وتكرر ظلمه والفساد".[1]

-وفي تناوله لحادثة تمرد وعصيان الباي محمد بن عثمان المدعو بوكابوس على ديوان الجزائر فإن أحمد الشريف الزهار في مذكراته يورد روايتين عن الحادثة إحداها توافق ما ذكره مسلم بن عبد القادر، غير أنه يلقي اللائمة على حاشيته التي كانت سببا في ذلك، حيث يذكر ما نصه: "وقيل أنه لما أراد السفر إلى ناحية تونس وأمر عماله وكبراء رعيته بأن يتهيأوا للسفر، فلم يقبلوا الخروج من وطنهم، فدخلوا على الباي ووسوسوا له من جهة عدوان الأغا وأظهروا له النصح في ذلك، وأشاروا عليه بأن يثور على الأمير ويستقل بنفسه يدا مع مولاي سليمان سلطان المغرب فاغتر بذلك، وكانت عاقبته أنهم هم الذين قبضوه وأوثقوه".[2]

-أما حمدان خوجة فإنه يتفق مع صاحب أنيس الغريب والمسافر على تدهور الأوضاع السياسية في أواخر العهد العثماني، إذ يشير إلى أن معاملة الدايات للبايات اتسمت بالقسوة والشدة، وأن منصب الباي يباع ويشترى.[3] ويعتبر أن إعطاء منصب الباي لأشخاص بلا مروءة وكفاءة من أكبر التجاوزات التي استشرت في حكومة الأتراك بالجزائر،[4] ويعدها من الأسباب الرئيسية لقيام إنتفاضة الدرقاويين.

إذ يذكر في هذا الصدد بشأن الباي مصطفى العجمي الذي حصلت الثورة الدرقاوية في عهده ما نصه: "وهكذا عين المسمى مصطفى بايا على وهران، وكان حظيا للخزناجي ومن صنائعه. وللحصول على ذلك المنصب كان قد وعد بتقديم مبالغ ضخمة من المال. ولم يكن لذلك الرجل أية علاقة بالمشائخ كما أنه لم يكن يعرف أنحاء تلك المقاطعة. وميزته الوحيدة تتمثل في نهب الشعب، وإرسال

[1] الزياني: نفسه، ص 311.

[2] أحمد الشريف الزهار: مذكرات، مصدر سابق، ص 109.

[3] حمدان خوجة: المرآة، مصدر سابق، ص 150-151.

[4] نفسه، ص 168.

أسلابه بخيره. وعلى أثر هذه الأوضاع السيئة غضب الشعب وثار، وكان على رأس الثورة المسمى، درغاوي، وقد استولى الثوار على معسكر بعد حصار قصير، ثم ساروا ضد وهران وحاصروها".[1]

في حين نجد حمدان خوجة يثني على الباي محمد المقلش نظير قيامه بفك الحصار على مدينة وهران وتشتيته لجموع الدرقاويين واستتبابه الأمن بالناحية الغربية، إذ يقول: "كان هذا الباي الذي خلص وهران من المتمردين ذا كفاءة ومروءة. وقد ساعد وجوده في تلك المقاطعة على تحقيق الأمن العمومي. وعلى الرغم من ذلك فإنه عزل بعد سنوات قليلة وقتل".[2]

وفي تطرقه للباي محمد بن عثمان المدعو بوكابوس فإن حمدان خوجة يرى خلاف ما ذكره مسلم بن عبد القادر في قضية تمرد الباي وعصيانه لأوامر الداي الذي كلفه بغزو تونس، حيث يرجع حمدان خوجة السبب في ذلك إلى أن الباي: "كان يعرف جيدا مصدر الحقد الموجود بين الشعبين، وان التونسيين يفضلون الموت عن آخرهم بدلا من الاستسلام للجزائريين، وبما أنه كان يخشى، كذلك، أن تحدث الاضطرابات في مقاطعة وهران بعد أن يغادرها، فإنه رفض –لكل هذه الأسباب–قبول القيادة التي عرضت عليه".[3] ومن ثم أشار لنهايته المأسوية وكذا مصير أهله وثرواته.

وأما ما ذكره عن الباي حسن آخر بايات بايليك الغرب فإنه يمتدح سيرته ويثني على سياسته ويرى فترة حكمه من أزهى فترات البايليك، إذ يقول فيه: "واستطاع حسن، على وجه الخصوص، ان يطبع إدارته بالاعتدال طوال الأربعة عشر عاما التي دامها في حكمه"، ثم يضيف عن سياسة حكمه وعلاقته بشعبه قائلا: "كان ذلك الباي يحكم بعطف أبوي، فلا يفرض على الشعب إلا ضرائب قليلة ولا يستعمل العنف ضده أبدا. ولأجل ذلك ازدهرت المقاطعة إزدهارا كبيرا وكان السكان يعترفون له بالجميل".[4] وبذلك فإن ترجمة حمدان خوجة لهذا الباي بهذه الصورة توافق ما ذكره عنه مسلم قبل تقلده لمنصب الباي، أما بعد ذلك فإن نظرتهما تختلف تماما، وما يدل على ذلك سكوت مسلم عن تناول فترة حكمه بالتفصيل، وما بيّنه الزياني في مؤلفه بشأن الباي حسن من سوء سياسته وكثرة ظلمه واستبداده أثناء حكمه لبايلك الغرب.

[1] حمدان خوجة: المرآة، نفسه ص 168.

[2] نفسه، ص 169.

[3] نفسه، ص 171.

[4] نفسه، ص 172.

2-مع الكتابات التاريخية المغربية:

تعد المؤلفات المغربية المعاصرة لمسلم بن عبد القادر وما أورده في مؤلفه، من الكتابات التي تساهم في التعرف على الأحداث التاريخية بنظرة مغايرة للكتابات المحلية وخاصة أحداث الثورة الدرقاوية التي تعرضت لها بالتفصيل، وذلك نظرا لامتداد مجال الثورة من بايلك الغرب إلى الأراضي المغربية واتخاذها لبعد مغاربي استدعى تدخل دبلوماسي بين حكام إيالة الجزائر وسلاطين الدولة العلوية بالمغرب الأقصى لإخمادها. ومن هذه الكتابات التاريخية نذكر:

-أورد المهدي البوعبدلي في مقدمة تحقيقه لدليل الحيران في أخبار مدينة وهران نصا للمؤرخ المغربي أبو القاسم الزياني مأخوذ من مؤلفه المعنون بالترجمان المعرب عن دول المشرق والمغرب يحوي وجهة نظره للثورة الدرقاوية، إذ يذكر فيه ما نصه: "وفي عام 1220هـ وقعت فتنة بين الترك والعرب أهل الواسطة، بسبب بعض فقراء (درقاوة) قتلهم الباي ووجّه في طلب شيخهم عبد القادر بن الشريف خليفة الشيخ الأكبر سيدنا ومولانا العربي الدرقاوي (رحمه الله) ب (المغرب)، ففر سيدي عبد القادر بن الشريف عن وطنه ونزل بوطن (الأحرار)، واجتمع عليه فقراء (درقاوة)، وامتعضوا لمن قتل منهم، ونفي شيخهم ابن الشريف عن زاويته ووطنه، وتذمّر لذلك عشائرهم، وقاموا على الترك وحزّبوا لحربهم، ولما قدمت محلة الترك من (الجزائر) على عادتها ولقيها الباي على عادته، قصدها العرب وأحلافهم، ووقع القتال فانهزم الأتراك، وقتلوا منهم ونهبوا محلتهم، ودخلوا ل (وهران) مفلولين، فقصدهم العرب وحاصروهم ب (وهران)، فكتب الباي للسلطان يستنصر في رقع هذا الخرق، وينتظر الفرج من جهته".[1]

ويتضح لنا من خلال هذا النص أن سبب تمرد الدرقاويين يعود إلى مطاردة ومضايقة البايلك لهم وسعيه في طلب شيخهم ابن الشريف الدرقاوي، فاستغلت القبائل الخارجة عن نطاق المخزن هذا التذمر وسارعوا للانضمام إلى الدرقاويين وأعلنوا الحرب على الاتراك، غير أن المؤلف لم يشر لإيذان شيخ الطريقة العربي الدرقاوي لابن الشريف في إعلانه لحرب الأتراك.

-ويعد مؤلف أبو حامد العربي المشرفي المعنوّن بالحسام المشرفي من المصادر التاريخية ذات التوجه الطرقي الدرقاوي، والتي تجلي لنا بعض الأحداث التي لم يفصل فيها مسلم بن عبد القادر في مؤلفه ولم يوضحها تمام الوضوح أو لم يذكرها إطلاقا، ومن ذلك سعي الحكام الأتراك لسلوك المسلك الدبلوماسي

[1] محمد بن يوسف الزياني: دليل الحيران...، مصدر سابق، ص 14-15.

مع السلطان المغربي سليمان العلوي لوقف تمرد الدرقاويين أثناء اشتداد ثورتهم وانتصارهم على البايلك وحصارهم لمدينة وهران، عبر إرسال شيخ الطريقة الدرقاوية بالمغرب الأقصى العربي الدرقاوي إلى ابن الشريف الدرقاوي لكفه عن الثورة.

وفي هذا الشأن كتب ما نصه: "ولما اشتد حصارهم في وهران، وانسدت عليهم سبل البر، بعث ملك الجزائر يومئذ لسلطان المغرب مولاي سليمان يستعطفه في مكتوبه ويقول له أن هذا القائم علينا درقاوي الوسيلة، وشيخه من إيالتكم بجبال الزبيب ببني زروال، وهو الذي يمده بطائفته، فرأس الحية عندكم وذنبها عندنا".[1]

وعندما حلّ شيخ الطريقة الدرقاوية بوهران عند الثائر ابن الشريف نجد أن رواية مسلم بن عبد القادر تناقض تماما ما ذكره العربي المشرفي عن هذه الحادثة رغم ما في قول مسلم من غموض، حيث يقول: "إلى أن قدم إليه شيخه من المغرب، وحضر الحرب مع الجيش، ورأى بعينه ما يسر فذهب إلى حال سبيله، وتركهم على ما هم عليه".[2] أما العربي المشرفي فأورد ما نصه: "وعندما كلّم السلطان سليمان العلوي الشيخ العربي الدرقاوي، ذهب هذا الأخير إلى وهران ممتثلا لكلام السلطان، فلقي بها مريده وكفه عنهم، بعد أن وجده قائما بالعدل تابعا للسنة تاركا للبدعة".[3]

كما يختلف مسلم بن عبد القادر مع العربي المشرفي في مكان استقرار ابن الشريف الدرقاوي أثناء إخماد ثورته ووفاته، حيث يذكر مسلم أنه استقر بقرية بني السنوس إلى أن خمدت ناره وسكن ريحه،[4] أما العربي المشرفي فذكر أن وفاته كانت بجبل يزناسن في حدود آخر العشرين من القرن الثالث عشر.[5]

-وأرّخ أبو العباس أحمد الناصري في مؤلفه الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى لأحداث الثورة الدرقاوية في الجزء الثامن، حيث يتفق مع المصادر المغربية حول سبب قيام الثورة والاتصالات التي قامت بين الحكام العثمانيين والسلاطين العلويين لإخماد الثورة الدرقاوية، وكذا ذكره لشكوك الحكام الأتراك في ضلوع العلويين في هذه الثورة وأن لهم يد فيها، وذلك بعد إيفاد شيخ الطريقة الدرقاوية العربي

[1] عبد الحق شرف: الحسام المشرفي...، مصدر سابق، ص 394-395.

[2] مسلم بن عبد القادر: أنيس الغريب والمسافر، مصدر سابق، ص 77.

[3] عبد الحق شرف: نفسه، ص 395.

[4] مسلم بن عبد القادر: نفسه، ص 110.

[5] عبد الحق شرف: نفسه، ص 395.

الدرقاوي إلى ابن الشريف وفشله في إقناع مريده بالكف عن التمرد وإعلان الأخير لمبايعته لسلطان المغرب، فسعى المولى سليمان لنفي هذه الاتهامات بمساهمته في إصلاح الخلاف الواقع بين حضر أهل تلمسان والكراغلة ورده لأهل تلمسان المتواجدين بمملكته إلى بلدهم.

وكتب الناصري عن سبب قيام الثورة الدرقاوية ما نصه: "وكان السبب في ذلك أن باي وهران كان له انحراف عن الفقراء والمنتسبين وسوء اعتقاد فيهم، فقتل بعض الطائفة الدرقاوية وأمر بالقبض على مقدمهم أبي محمد عبد القادر بن الشريف الفليتي... ففر أبو محمد عبد القادر المذكور إلى الصحراء ونزل بحلة الأحرار، فاجتمع عليه أهل طائفته وامتعضوا لمن قتل منهم ولنفي مقدمهم عن وطنه وعشيرته، وامتعضت لهم عشائرهم من قبائل العرب الذي هنالك وزحفوا لحرب الترك على حين غفلة منهم فقتلوهم في كل وجه".[1]

وعن المساعي الدبلوماسية بين السلطة العثمانية بالجزائر والمولى سليمان العلوي لإنهاء تمرد الدرقاويين كتب الناصري يقول: "ولما مني الباي منهم بالداء العضال، كتب إلى السلطان المولى سليمان يعرفه بما دهاه منهم ويطلب منه أن يبعث إليهم شيخهم أبا عبد الله المذكور ليكفهم عنه ويراجعوا طاعة المخزن، فبعث السلطان الشيخ المذكور، فانتهى الشيخ إلى ابن الشريف وهو في جموعه بظاهر وهران فشكا إلى الشيخ ما نال الفقراء والمنتسبين وسائر الرعية من عسف الترك وجورهم، فتوقف الشيخ وربما صدر منه بعض تقبيح لفعل الترك وما هم عليه، فازدادت العرب بذلك تظاهرا على الترك وتكالبا عليهم، فاتهم الباي السلطان بأنه الذي يغريهم لأنه كان ينتظر الفرج على يده ويرجو رقع الخرق من جهته فأخفق سعيه".[2]

وفي حادثة النزاع القائم بين الكراغلة والعرب من أهل تلمسان وبتحريض من ابن الشريف الدرقاوي يذكر الناصري أن للسلطان سليمان العلوي جهود حثيثة في الإصلاح بين الطرفين لإبعاد الشكوك التي حامت حوله من أنه هو المتسبب في كل ما يحدث في بايليك الغرب من ثورات ونزاعات، فذكر ما نصه: "فرأى السلطان رحمه الله أن يسلك في حقهم وحق الترك مسلكا هو أرفق بالجميع، فبعث القائد أبا السرور عياد بن أبي شفرة الوديي، وأمره أن يحجز بين الحضر والترك حتى يقدم الباي إلى تلمسان،

[1] أبو العباس أحمد الناصري: الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ج 8، تح وتع: جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء-المغرب، 1997، ص 109.

[2] نفسه، ص 110.

ورد معه الوفد الذين قدموا مع الشيخ وتقدم إليه في القبض على ابن الشريف إن هو لم يرجع عن الحرب إلى السلم، ثم كتب إلى السلطان بما أزال شكه وأبطل وهمه، ولما شارف القائد عياد تلمسان فر الشريف إلى منجاته، ودخل القائد عياد المدينة فحجز بين الفريقين وقدم الباي إلى تلمسان فأصلح بينه وبين رعيته، ومكنه من بلده، وانقلب إلى حال سبيله".[1]

واستخلاصا لما سبق يمكن القول أن الكتابات التاريخية المغربية تتطابق فيما بينها إلى حد كبير، واستطاعت أن تلقي الضوء على بعض الأحداث التي لم يفصل فيها مسلم بن عبد القادر أو لم يشر لها بتاتا في تأريخه للثورة الدرقاوية.

[1] نفسه، ص 111.

الخاتمة

وفي ختام هذه الدراسة توصلت إلى ملخص الإجابة عن الإشكالية والنتائج المتوّصل إليها، وهي كالتالي:

-تتفق المصادر التاريخية المحلية للجزائر خلال العهد العثماني ومنها كتاب أنيس الغريب والمسافر على أن عهد الباي محمد الكبير يعد من أزهى فترات الحكم في بايلك الغرب الجزائري، وذلك نظير الإنجازات التي حققها والمشاريع التي شيدها ومن أهمها فتح مدينة وهران سنة 1792م. كما تتفق هذه المصادر على تردي الأوضاع السياسية بعد حكم الباي محمد الكبير، إذ اتسمت سياسة خلفائه بإثقال كاهل الرعية بالضرائب وتدهور علاقتهم بالعلماء والطرق الصوفية وكذا انتشار الفساد، مما أدى بالطريقة الدرقاوية والتجانية المنتشرة بالإقليم إلى إعلان التمرد والعصيان على السلطة الحاكمة، فانعكس ذلك سلبا على مختلف الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والثقافية.

-أن شخصية مسلم بن عبد القادر رغم ما يكتنفها من الغموض حول نشأته ومولده، إلا أنه عُرف بالوظائف التي تقلدها والمكانة المميزة التي يحظى بها وسط النخبة المثقفة لبايليك الغرب الجزائري، كما أن تاريخ وفاته معلوم ومكان دفنه ذكره الزياني في مؤلِفه دليل الحيران.

-يفهم من كتاب أنيس الغريب والمسافر أنه مؤلف تاريخي بامتياز، عني بتدوين وتأريخ سيرة البايات وسياستهم وإنجازاتهم والأحداث الهامة التي وقعت خلال فترة حكمهم.

-أن الكتاب يكتسي أهميته وقيمته التاريخية من المعلومات التي احتواها والأحداث التي عاصرها إما مشاهدة بالعيان أو سماعها عمن اشترك فيها، وبذلك فإن روايات مسلم بن عبد القادر حظيت بالثقة والمصداقية وتداولتها عنه المصادر التاريخية التي جاءت من بعده.

-تميّز كتاب أنيس الغريب والمسافر بذكره لأخبار وحوادث هامة شملت مختلف مناحي الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية لبايليك الغرب، كأخبار الأوبئة والمجاعات التي حلت بالإقليم وراح ضحيتها العديد من الناس ومن ضمنهم العلماء والأدباء، كما تميّز الكتاب بكونه من المصادر التاريخية التي فصلت الحديث عن الحروب والمعارك التي دارت رحاها بين قوات البايليك وثوار درقاوة، وجرت البلاد إلى فقدان الأمن وانعدام الاستقرار السياسي.

-ان مسلم بن عبد القادر سلك في منهج تأليفه للكتاب الطريقة التقليدية في التأليف والتزم بوحدة الموضوع وأبدى رأيه تجاه القضايا المطروحة، وكذلك استعان في تأريخه لحوادث بايليك الغرب وأخبار

باياتها بالشعر والأمثال والحكم وتوظيفها لأغراض تاريخية. كما اتسم أسلوبه في الكتاب بغلبة الأسلوب الأدبي الذي تكثر فيه الكلمات العامية والأغلاط النحوية والصرفية. أما الدافع الذي حمله على تأليف الكتاب فهو نابع من ذاتيته، ويتمثل في تأريخ وتخليد الأخبار الخاصة والعامة لبايليك الغرب الجزائري.

-استطاع مسلم بن عبد القادر تصوير الواقع السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي لبايليك الغرب بدقة وأمانة، وكان موضوعيا في طرحه، وتطابقت رواياته للحقيقة التاريخية بتوافقها مع المصادر المحلية المعاصرة. كما استطاعت المصادر المغربية أن تجلي بعض الغموض عن الأحداث التاريخية الخاصة بثورة درقاوة ولم يذكرها مسلم بن عبد القادر في كتابه.

الملاحق

-الملحق رقم 01: الصفحة الأولى والثانية من إسماع الأصم لأبي راس الناصر

المرجع: رقية شارف: التاريخ والمؤرخون الجزائريون خلال العهد العثماني وإلى غاية 1267هـ/1850م، مرجع سابق، ص 334.

-ملحق رقم 01: الورقة الأخيرة من إسماع الأصم لأبي راس الناصر

المرجع: رقية شارف: التاريخ والمؤرخون الجزائريون خلال العهد العثماني وإلى غاية 1267هـ/1850م، مرجع سابق، ص 335.

-الملحق رقم 02: الصفحة الأولى من مخطوط خاتمة أنيس الغريب والمسافر

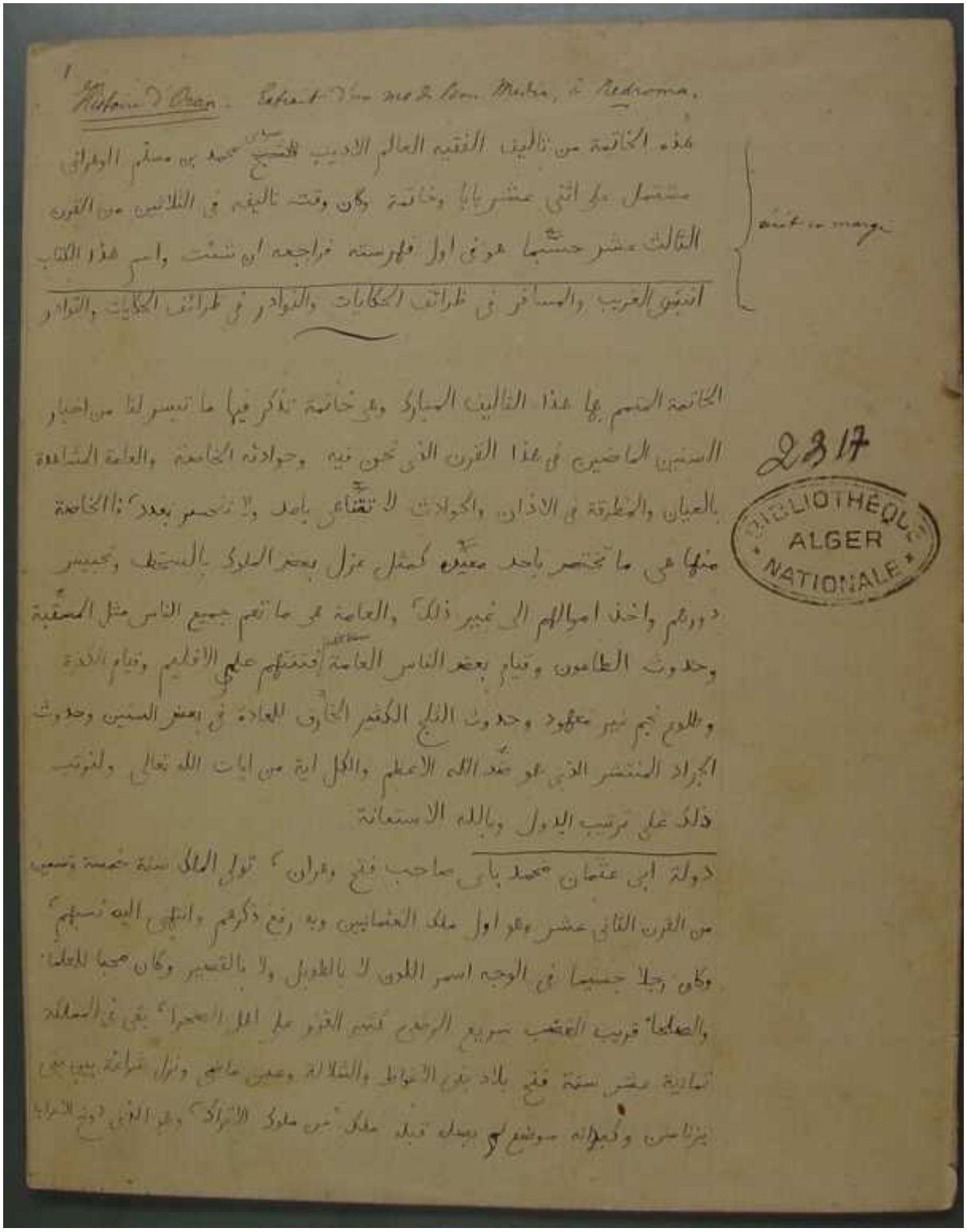

هذه الخاتمة من تاليف الفقيه العالم الاديب الصالح محمد بن مسلم الوهراني مشتمل على اثنى عشر بابا وخاتمة وكان وقت تاليفه في الثلاثين من القرن الثالث عشر حسبما هو في اول فهرسته فراجعه ان شئت واسم هذا الكتاب انيس الغريب والمسافر في طرائف الحكايات والنوادر في طرائف الحكايات والنوادر

الخاتمة التي سميها هذا التاليف المبارك وهي خاتمة تذكر فيها ما تيسر لنا من اخبار السنين الماضين في هذا القرن الذي نحن فيه وحوادثه الخاصة والعامة المشاهدة بالعيان والمطرقة في الاذان والحوادث لا تتقاعى باحد ولا تحصر بعدد والخاصة منها هي ما تختص باحد معينه كمثل عزل بعض الملوك بالسخط وتجبير دورهم واخذ اموالهم الى غير ذلك والعامة هي ما تعم جميع الناس مثل الصقيعة وحدوث الطاعون وقيام بعض الناس العامة فتنتهم على الاقليم وقيام الفتنة واللوح نجم غير معهود وحدوث الثلج الكثير الخارق للعادة في بعض السنين وحدوث الجراد المنتشر الذي هو جند الله الاعظم والكل اية من ايات الله تعالى ولترتيب ذلك على ترتيب الدول وبالله الاستعانة

دولة ابي عثمان محمد باي صاحب فتح وهران تولى الملك سنة خمسة وستين من القرن الثاني عشر وهو اول ملك العثمانيين وبه رفع ذكرهم وانتهى اليه نسبهم وكان رجلا جسيما في الوجه اسمر اللون لا بالطويل ولا بالقصير وكان محبا للعلماء والصلحاء قريب العتب سريع الرضى كتب الله على اهل الصحراء بقي في المملكة نهاية عشر سنة فتح بلاد بني الاحوط والشلالة وعين عابد ونزل قراقنة بين بني يزناسن وكبيلوانه سوطع بيبك قبل ملك من ملوك الاتراك وهو الذي فتح الجزائر

2317
BIBLIOTHÈQUE
ALGER
NATIONALE

المصدر: المكتبة الوطنية الجزائرية، مخطوط رقم 2317.

-ملحق رقم 02: الصفحة الأخيرة من مخطوط خاتمة أنيس الغريب والمسافر.

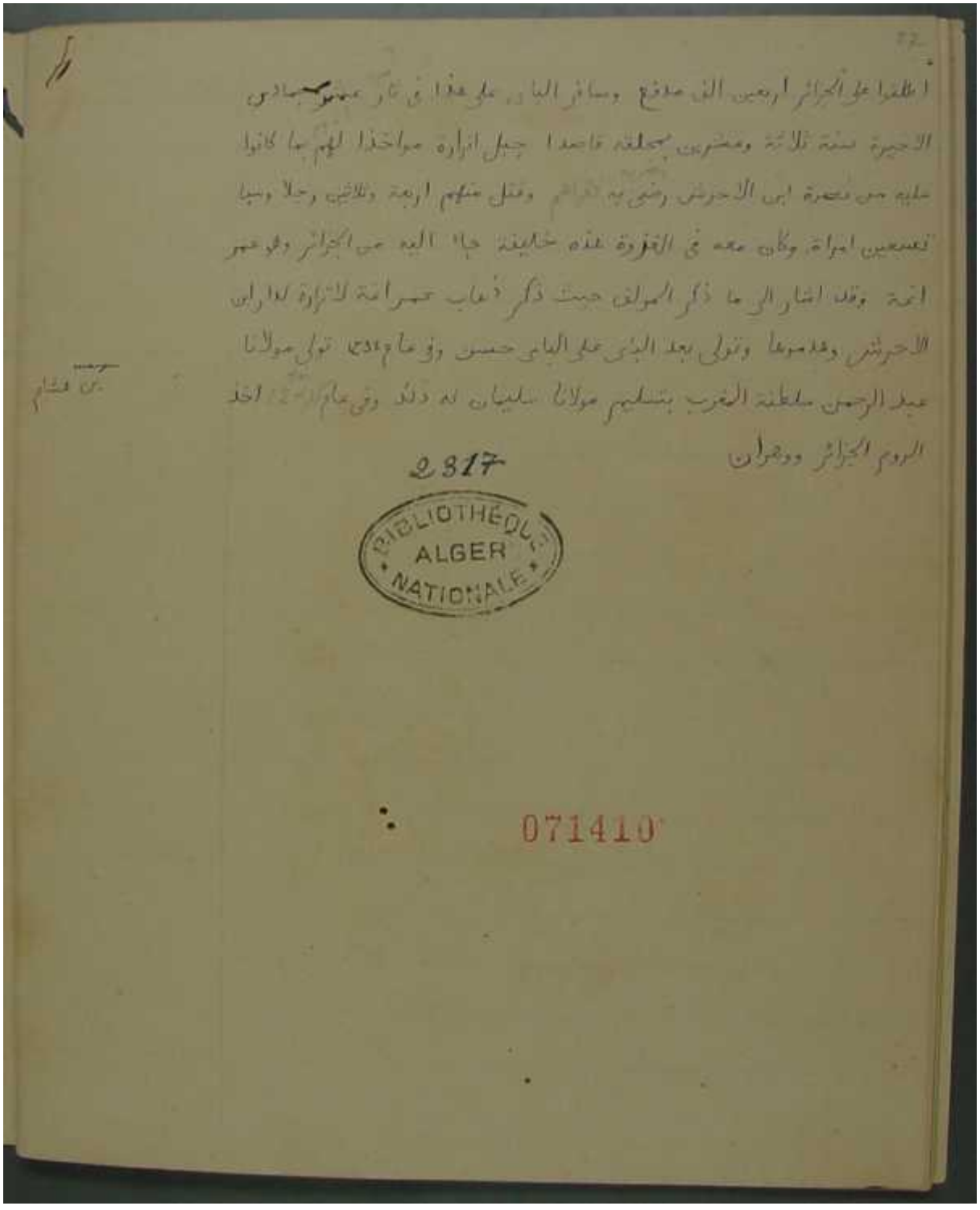

المصدر: المكتبة الوطنية الجزائرية، مخطوط رقم 2317.

-ملحق رقم 03: صورة للصفحتين الأولى والأخيرة من مخطوط تاريخ بايات وهران لحسن خوجة.

المرجع: فارس كعوان: المؤرخون الجزائريون ونمو الوعي التاريخي...، مرجع سابق، ص 403.

قائمة المصادر والمراجع:

1-المصادر العربية.

2-المراجع العربية.

3-المقالات والدوريات العربية والأجنبية.

4-الرسائل و الأطروحات الجامعية

1-المصادر:

1-ابن الأمير عبد القادر الجزائري، محمد باشا: **تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر**، تح: محمد السيد عثمان، ج 1، ط 1، دار الكتب العلمية، لبنان، 2013.

2- ابن عبد القادر، مسلم: **خاتمة أنيس الغريب والمسافر، تاريخ بايات وهران المتأخر**، تح وتق: رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1394هـ/1974م.

3- خوجة، حمدان بن عثمان: **المرآة**، تق وتع وتح: محمد العربي الزبيري، ط 2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982.

4- الراشدي، أحمد ابن سحنون: **الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني**، تح وتق: المهدي البوعبدلي، ط 1، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013.

5- الزهار، أحمد الشريف: **مذكرات نقيب أشراف الجزائر**، تح: أحمد توفيق المدني، ط 2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980.

6- الزياني، محمد بن يوسف: **دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران**، تح وتق: المهدي البوعبدلي، ط 1، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013.

7- المزاري، ابن عودة: **طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر واسبانيتا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر**، ج 1، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1990.

8- الناصر، أبو راس: **عجائب الأسفار ولطائف الأخبار**، تق وتح: محمد غالم، ج 1و 2، منشورات CRASCO، الجزائر.

9- الناصر، أبو راس: **فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته، حياة أبي راس الذاتية والعلمية**، تح وتع: محمد بن عبد الكريم الجزائري، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر.

2-المراجع:

1-بن عتو، بلبروات: **الباي محمد الكبير ومشروعه الحضاري**، دار كوكب العلوم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2020.

2- بوعزيز، يحي: **أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة**، ج 2، ط 1، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1995.

3- بوعزيز، يحي: **مدينة وهران عبر التاريخ**، ط خاصة، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009.

4- بوعزيز، يحي: **موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب**، ج 1، دار الهدى، الجزائر، 2009.

5- الجيلالي، **عبد الرحمان: تاريخ الجزائر العام**، ج 3، ط 7، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1994.

6- سعد الله، أبو القاسم: **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج 1، ط 1، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1998.

7-أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج 2، ط 1، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1998.

8- سعد الله، أبو القاسم: **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج 7، ط 1، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1998.

9- سعيدوني ناصر الدين والمهدي البوعبدلي: **الجزائر في التاريخ العهد العثماني**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.

10- سعيدوني، ناصر الدين: **النظام المالي للجزائر في أواخر العهد العثماني (1792-1830)**، ط 3، البصائر الجديدة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2012.

11- سعيدوني، ناصر الدين: **من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي تراجم مؤرخين ورحالة جغرافيين**، ط 1، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1999.

12- شارف، رقية: **الكتابات التاريخية الجزائرية الحديثة خلال القرن 18 وبداية القرن 19م دراسة تحليلية نقدية**، ط 1، دار الملكية، الجزائر، 2007.

13- عباد، صالح: **الجزائر خلال الحكم التركي**، دار الألمعية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013.

14- عبد القادر نور الدين: **صفحات من تاريخ مدينة الجزائر من أقدم عصورها إلى انتهاء العهد التركي**، دار الحضارة، الجزائر.

15- غطاس، عائشة وآخرون: **الدولة الجزائرية الحديثة ومؤسساتها**، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر، الجزائر.

16- المدني، أحمد توفيق: **حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا 1492-1792**، ط 3، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.

17- مياسي، إبراهيم: **مقاربات في تاريخ الجزائر 1830-1962**، ط 3، دار هومه، الجزائر، 2016.

18- الناصري، أبو العباس أحمد: الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ج 8، تح وتع: جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء-المغرب، 1997.

19- هلايلي، حنيفي: **أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني**، ط 1، دار الهدى، الجزائر، 2008.

3-المقالات والدوريات:

3-1- باللغة العربية:

1-بن جبور، محمد: "**الحركة العلمية بالجزائر ومشاهير علماء بايلك الغرب في أواخر العهد العثماني (1671-1830)**"، في: **مجلة الحوار المتوسطي**، مج 11، ع 2، جامعة جيلالي اليابس-سيدي بلعباس، الجزائر، سبتمبر 2020.

2- بن عتو، بلبروات: "**أضواء حول مدينة تلمسان خلال العهد العثماني**"، في: **مجلة الحوار المتوسطي**، مج 1، ع 1، جامعة جيلالي اليابس-سيدي بلعباس، 2009.

3- بن قادة، صادق: "**الذاكرة المكتوبة والتاريخ: أضواء جديدة حول شخصية مسلم بن عبد القادر الوهراني أديب ومؤرخ بايات وهران (القرن 13هـ/19م)**"، في: **مجلة إنسانيات**، ع 3، مركز البحث في الأنثروبولوجية الاجتماعية والثقافية، وهران، 1998.

4- حمدادو، بن عمر: "**واقع الحياة الثقافية والفكرية أواخر العهد العثماني ببايلك الغرب**"، في: **حوليات التاريخ والجغرافيا**، مج 4، ع 7، المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة، الجزائر، ديسمبر 2013.

5- دادة، محمد: "**التدوين التاريخي في الجزائر خلال العصر العثماني خصائصه وموضوعاته**"، في: **مجلة عصور الجديدة**، مج 2، ع 3-4، جامعة وهران 1 أحمد بن بلة، 1432هـ-2011م/1433هـ-2012م.

6- دحماني، توفيق: "**البنية القبلية في الغرب الجزائري أواخر الفترة العثمانية**"، في: **المجلة المغاربية للمخطوطات**، مج 2، ع 1، جامعة الجزائر 2، الجزائر، جوان 2006.

7- الزين، محمد: "**نظرة على الأحوال الصحية بالجزائر العثمانية في أواخر عهد الدايات**"، في: **مجلة الواحات للبحوث والدراسات**، ع 17، جامعة غرداية، الجزائر، 2012.

8- العيد، فارس: "**الأوضاع الاقتصادية في بايلك الغرب الجزائري أواخر العهد العثماني**"، في: **الساورة للدراسات الإنسانية والاجتماعية**، مج 3، ع 2، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة طاهري محمد-بشار، الجزائر، جوان 2017.

9- غطاس، عائشة: "**الوضع الصحي للجزائر خلال العهد العثماني**"، في: **مجلة الثقافة**، السنة 13، ع 76، رمضان-شوال 1403هـ يوليو-أغسطس، الجزائر، 1983.

10- مسعود، العيد: "**حركة التعليم في الجزائر خلال العهد العثماني**"، في: **مجلة سيرتا**، السنة الثانية، ع 3، معهد العلوم الاجتماعية، جامعة قسنطينة، الجزائر، رجب 1400هـ-ماي 1980م.

11- موساوي القشاعي، فلة: "**وباء الطاعون في الجزائر العثمانية دوراته وسلم حدته وطرق انتقاله**"، في: **دراسات في العلوم الإنسانية والاجتماعية**، مج 1، ع 1، جامعة الجزائر 2، الجزائر، جوان 2001.

3-2- باللغة الأجنبية:

Adrien Delpech: "**Résumé Historique sur LE SOULEVEMENT DES DERK'AOUA DE LA PROVINCE D'ORAN d'après le chronique d'EL-Mossellem ben Mohammed bach daftar du Bey Hassan de 1800 à 1813 (HéG. 1215 a 1228)**". In: **R.A.** N° 18, 1874.

4-الرسائل والأطروحات الجامعية:

1-بكاري، عبد القادر: **منهج الكتابة التاريخية عند المؤرخين الجزائريين في العهد العثماني (1519-1830م)**، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ الحديث، قسم التاريخ وعلم الآثار، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية، جامعة وهران، 2015-2016.

2- بن صحراوي، كمال: **أوضاع الريف في بايلك الغرب الجزائري أواخر العهد العثماني**، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ الحديث، قسم التاريخ وعلم الآثار، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 2012-2013.

3- بونقاب، مختار: **الحياة الثقافية في بايلك الغرب خلال القرنين: 18و19م**، رسالة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم العلوم الإنسانية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة جيلالي اليابس-سيدي بلعباس، 2015-2016.

4- تلمساني، بن يوسف: **الطريقة التجانية وموقفها من الحكم المركزي بالجزائر (الحكم العثماني- الأمير عبد القادر- الإدارة الاستعمارية) "1782-1900"**، رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 1997-1998.

5- دحماني، توفيق: **النظام الضريبي ببايلك الغرب الجزائري أواخر العهد العثماني (1193هـ/1779م-1246هـ/1830م)**، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، 2003-2004.

6- دغموش، كاميلية: **السلطة والمجتمع في بايلك الغرب الجزائري (1792-1830م)**، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية، جامعة وهران 1 أحمد بن بلة، 2019-2020.

7- رقاد، سعدية: **المؤسسات العلمية في بايلك الغرب الجزائري خلال العهد العثماني (1700-1830م)**، أطروحة لنيل درجة الدكتوراه في الطور الثالث، قسم التاريخ وعلم الآثار، كلية

العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية، جامعة وهران 1 أحمد بن بلة، 1440-1441هـ/2018-2019م.

8- شارف، رقية: **التاريخ والمؤرخون الجزائريون خلال العهد العثماني وإلى غاية 1267هـ/1850م دراسة وصفية- تحليلية- نقدية-مقارنة مقاربة في المنهج التاريخي**، رسالة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية، جامعة الجزائر -2- أبو القاسم سعد الله، 2016-2017.

9- شرف، عبد الحق: **الحسام المشرفي لقطع لسان الساب الجعرفي الناطق بخرافات الجعسوس سيء الظن الكنسوس للعربي بن عبد القادر المشرفي المتوفى 1895 –دراسة وتحقيق (إلى نهاية الترجمة الرابعة)**-، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ والحضارة الإسلامية، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، قسم الحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 1432-1433هـ/2010-2011م.

10- شويتام، أرزقي: **المجتمع الجزائري وفعالياته في العهد العثماني 1519-1830م**، رسالة مقدمة لنيل درجة دكتوراه دولة في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، 2005-2006.

11- طالي معمر، سميرة: **القوى المحلية في بايلك الغرب الجزائري في أواخر العهد العثماني (1206-1246هـ/1792-1831م)**، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، 2009-2010.

12- قدور، بوجلال: **مظاهر التقارب والقطيعة بين العلماء والسلطة العثمانية في بايلك الغرب فترة الدايات 1671-1830م**، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ الحديث، قسم التاريخ وعلم الآثار، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية، جامعة وهران 1 أحمد بن بلة، 2016-2017.

13- كعوان، فارس: **المؤرخون الجزائريون ونمو الوعي التاريخي 1830-1962 مساهمة في التاريخ الثقافي والفكري**، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم في التاريخ المعاصر، قسم التاريخ والآثار، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة منتوري قسنطينة، 2011-2012.

14- مشرفي، جميلة: **الأسواق في بايلك الغرب خلال عهد الدايات (1671-1830م)**، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه الطور الثالث تخصص: تاريخ الحوض الغربي للمتوسط: تاريخ وحضارة، قسم العلوم الإنسانية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة مصطفى اسطمبولي-معسكر، 2017-2018.

15- الواليش، فتيحة: **الحياة الحضرية في بايلك الغرب الجزائري خلال القرن الثامن عشر**، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 1993-1994.

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

الإهداء .....

شكر .....

قائمة المختصرات .....

الـمـقـدّمـة .....أ

-الفصل التمهيدي: الأوضاع العامة لبايليك الغرب الجزائري في أواخر العهد العثماني .....ب

-المبحث الأول: الأوضاع السياسية: 10

-المبحث الثاني: الأوضاع الاقتصادية: 16

1-الفلاحة:.....16

2-الصناعة: 18

3-التجارة: 19

-المبحث الثالث: الأوضاع الاجتماعية: 21

1-سكان المدن: 21

2-سكان الأرياف:. 22

-المبحث الرابع: الأوضاع الثقافية:.....24

1-التعليم:.....25

2-المؤسسات الثقافية:.....26

3-الإنتاج الثقافي: 28

-الفصل الأول: التعريف بالمؤلَف مسلم بن عبد القادر والكتاب أنيس الغريب والمسافر..29

-المبحث الأول: شخصية مسلم بن عبد القادر:.....30

1-إسمه ونسبه:.....30

2-وظائفه:.....30

3-عصره:. 31

4-إنتاجه العلمي:. 31

-المبحث الثاني: التعريف بكتاب أنيس الغريب والمسافر:.....32

-المبحث الثالث: مضمون ومحتوى الكتاب: 34

-المبحث الرابع: أهمية وقيمة الكتاب التاريخية:.....36

-الفصل الثاني: القيمة التاريخية لكتاب أنيس الغريب والمسافر.....38

-المبحث الأول: صورة الواقع السياسي والعسكري: 39

1-سيرة وخصال وسياسة البايات:.....39

2-الثورة الدرقاوية:.....40

3-علاقة البايلك بمركز الحكم (دار السلطان):.....42

4-حملة الانجليز على مدينة الجزائر:.....44

-المبحث الثاني: صورة الواقع الاجتماعي: 44

1-الأوبئة والمجاعات:.....44

2-ذكره لوفاة العلماء بسبب الطاعون أو الحروب:.....45

3-حرمة الضريح: 45

4-نزاع الكراغلة والعرب بتلمسان:.....46

5-ذكر المدن والمناطق والقبائل: 46
-المبحث الثالث: صورة الواقع الاقتصادي: 47
1-فساد الدرقاويين: 47
2-غلاء الأسعار: 48
3-صرف العملة:.....48
-المبحث الرابع: الواقع الثقافي خلال القرن التاسع عشر.....49
1-علاقة العلماء بالسلطة:.....49
2-لمحة عن الإنتاج الثقافي: 49
الفصل الثالث: دراسة تحليلية للكتاب: الشكل والمضمون 51
-المبحث الأول: دراسة تحليلية للشكل:.....52
1-منهج مسلم بن عبد القادر في كتاب أنيس الغريب والمسافر: 52
2-أسلوب مسلم بن عبد القادر في كتاب أنيس الغريب والمسافر: 55
3-المصادر التي اعتمد عليها:.....57
-المبحث الثاني: دراسة تحليلية للمضمون: 58
1-دوافع تأليف الكتاب: 58
2-المنظور الفكري للمؤلَف: 59
3-الحقيقة التاريخية في كتاب أنيس الغريب والمسافر:.....59
-المبحث الثالث: مقارنة كتاب أنيس الغريب والمسافر مع الكتابات التاريخية المعاصرة له:
.....61
1-مع الكتابات التاريخية الجزائرية: 61

2-مع الكتابات التاريخية المغربية: 67
الـخاتمـــــة 71
الـــــمـــــلاحـــــق 73
قائمة المصادر والمراجع: 79
فهرس الموضوعات 87
ملخص: 91

عرفت الجزائر خلال العهد العثماني بروز عدة كتابات تاريخية محلية اكتست أهميتها وقيمتها العلمية بكونها مصادر عايشت الأخبار والحوادث التي شهدتها الإيالة ودوّنتها بنظرة جزائرية خالصة، ومن هذه الكتابات التاريخية يعد مؤلف مسلم بن عبد القادر المعنوّن بأنيس الغريب والمسافر من المصادر التاريخية التي أرّخت لبايليك الغرب الجزائري في أواخر العهد العثماني، وعنيت بتدوين أخبار البايات والأحداث التي عرفها البايليك وذلك بدءاً بالباي محمد الكبير وانتهاءً بالباي حسن. إذ تكمن أهمية الكتاب في كونه تطرق للحوادث الهامة كالأوبئة والمجاعات التي حلت بالإقليم وكذا توسعه في ذكر الحروب والمعارك التي دارت رحاها بين قوات البايليك والمتمردين من ثوار درقاوة.

Résumé:

Pendant lère ottomane, l'Algérie a connu l'émergence de plusieurs écrits historiques locaux qui ont acquis leur importance et leur valeur scientifique en tant que sources qui ont vécu les nouvelles et les incidents dont ont été témoins les Eyalet et les ont écrits avec une vision purement algérienne. A la fin de l'ère ottomane, et je me suis occupé d'écrire les nouvelles des beys et les événements que les beyliks connaissaient, en commençant par bey Muhammad le Grand et en terminant par bey Hassan. L'importance du livre réside dans le fait qu'il a abordé plusieurs incidents importants, tels que les épidémies et les famines qui ont frappé la région, ainsi que son expansion en mentionnant les guerres et les batailles qui ont eu lieu entre les forces Beylik et les rebelles de Darqawa révolutionnaires.